وزارة التعليـــم العـــالي والبحث العلـــمي

جـــامعة محمد الصـديق بن يحيى – جيـــجل–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

العنـــوان

رثاء المدن في الشعر الشعبي الجزائري

" ابن مسايب" – أنموذجا–

مذكرة مقدمة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص : أدب جزائري

إعداد الطالبة:

✓ نسرين بلطاس

✓ غنية بشيبشي

إشراف الأستاذ:

أ.رشيد جقريف

نوقشت علنا أمام اللجنة المكونة من:

الأستاذ	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
د. جمال بوسنون	أستاذ محاضر: –ب–	محمد الصديق بن يحيى	رئيسا
أ. رشيد جقريف	أستاذ مساعد: –أ–	محمد الصديق بن يحيى	مشرفا ومقررا
د. عبد الرحمان مزرق	أستاذ محاضر: – ب–	محمد الصديق بن يحيى	مناقشا

السنة الجامعية: 2022/ 2023م

وزارة التعليم العـــالي والبحث العلـــمي

جـــامعة محمد الصـديق بن يحي – جيـــجل–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

العنـــوان

رثاء المدن في الشعر الشعبي الجزائري

" ابن مسايب" – أنموذجا–

مذكرة مقدمة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب والعربي

تخصص : أدب جزائري

إعداد الطالبة:

- ✓ نسرين بلطاس
- ✓ غنية بشيبشي

إشراف الأستاذ:

أ. رشيد جقريف

نوقشت علنا أمام اللجنة المكونة من:

الأستاذ	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
د. جمال بوسنون	أستاذ محاضر: –ب–	محمد الصديق بن يحيى	رئيسا
أ. رشيد جقريف	أستاذ مساعد: –أ–	محمد الصديق بن يحيى	مشرفا ومقررا
د. عبد الرحمان مزرق	أستاذ محاضر: – ب–	محمد الصديق بن يحيى	مناقشا

السنة الجامعية: 2022/ 2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال تعالى: ﴿وإذْ تأذّن ربّكُم لئن شكرتُم لأزيدنَّكُم ولئِن كفَرتُمْ إنّ عذابِي لشدِيدٌ

﴾سورة إبراهيم الآية 7.

فالشكر أولا وأخيرا لله عزوجل على نعمه التي لا تحصى

كما نتوجه بجزيل الشكر إلى أستاذنا " رشيد جقريف "

الذي كان لنا خير سند طول مشوارنا الدراسي وألف شكر وتحية وأطال الله في عمره.

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى

من قدم لنا مساعدة أثناء إنجازنا لهذا البحث

إهداء

الحمد الله الذي أعاننا بالعلم وزيننا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وأجملنا بالعافية.

أتقدم بإهداء عملي إلى:

الدرع والواقي والكنز الباقي إلى من جعل العلم منبع اشتياقي لك أقدم وسام الاستحقاق، إلى أبي الغالي أطال الله في عمره.

رمز العطاء وصدق الإيباء إلى ذروة العطف والوفاء لك يا أجمل حواء أنت أمي الغالية أطال الله عمرك.

إلى إخواني وأخواتي الأعزاء وإلى كل عائلتي.

إلى صديقتي وحسن العلاقة زميلتي في هذا البحث " **بلطاس نسرين**".

وإلى كل من أحبهم القلب ولم يذكرهم القلم.

وفي الأخير إلى كل من مد يد العون وساهم معي في تدليل ما واجهت من صعوبات.

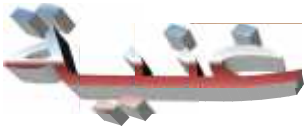

إهداء

الحمد لله العزيز الجبار الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي تحل به العقد وتنفرج به الكرب وتقضى به الحوائج ويوجهه الكريم، صلاة كاملة وسلام عليه وعلى أله وصحبه وسلم أجمعين.

أهدي ثمرة جهدي إلى أعز ما أملك في الوجود أمي الحبيبة حفظها الله.

إلى روح أبي رحمه الله عزوجل وأسكنه فسيح جنانه.

إلى أخوتي وأخواتي الأعزاء و إلى كل عائلتي.

إلى صديقاتي وزميلاتي في الدراسة وإلى زميلتي "**بشيبشي غنية**".

إلى كل من أحبهم القلب ولم يذكرهم القلم....

نسرين

مقدمـــــة

يعد الأدب الشعبي ضروريا ولا يقل أهمية عن الأدب الفصيح، فهو شامل لكل جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية وغيرها، الشعر الشعبي هو شكل من أشكال التعبير في الأدب الشعبي، فهو النغمة التي تأسر القلوب والنفوس، فالشاعر من خلاله يلمس بها قلوب الناس، وأفراد المجتمع الواحد الذي جمعتهم الظروف نفسها، فعاش معهم أفراحهم وأتراحهم، كما يعتبر المرآة العاكسة لما له من بساطة في الطرح وبلاغة في الإيقاع، فالشاعر يعبر عن ذلك بألحان شعرية، وقد خصصنا موضوع رثاء المدن كغرض شعري صادق يعبر عن النفس الإنسانية وهي تتكبد لوعة الفراق، فهو صادر عن أعماق النفس يخاطب القلوب قبل العقول، والشاعر "ابن مسايب" من الشعراء الشعبيين الذين نظموا في هذا الفن، خاصة أنه تعلق بمدينة تلمسان فرثاها بقصائده.

وانطلاقا من هذا كان بحثنا موسوما بـ"رثاء المدن في الشعر الشعبي الجزائري عند "ابن مسايب" أنموذجا".

من الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع: أسباب ذاتية:

الرغبة النفسية واهتمامانا بالأدب الشعبي، ورغبتنا في الإطلاع وحصد رصيد معرفي حول الشعر الشعبي الجزائري أما الأسباب الموضوعية فنذكر منها قلة الموضوعات دفعنا إلى البحث والغوص في ثنايا موضوع رثاء المدن في الشعر الشعبي الجزائري، ويقوم بحثنا من خلال الإجابة على مجموعة من الإشكاليات والتساؤلات أهمها:

كيف كان رثاء "ابن مسايب" لمدينة تلمسان، وهل كان مقلدا أم مجددا؟

- ماهي أهم موضوعات شعر رثاء المدن "عند ابن مسايب"؟

- ماهي أهم خصائص شعر الرثاء الشعبي الجزائري؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، اتبعنا خطة بحث تضمنت فصلا تمهيديا تمثل في: مقدمة ومدخل ففي المقدمة وضحنا فيها أهم النقاط التي تطرقنا إليها في موضوع بحثنا وعالجناها في المتن وإظهار أهمية الموضوع، وسبب اختياره أما المدخل فتحدثنا عن مفهوم الرثاء والمدينة ومفهوم الشعر الشعبي الجزائري.

ليليه فصل أول معنونا بـ"الشعر الشعبي الجزائري، الموضوعات والمضامين والخصائص" ، يتضمن موضوعات الشعر الشعبي الجزائري، خصائصه، ورثاء المدن في الشعر الفصيح والشعر الشعبي ثم يليه الفصل الثاني معنون بالرثاء في قصيدة "ابن مسايب"، تطرقنا فيه إلى: حياة "ابن مسايب"، أعماله وخصائص شعره وتجليات الرثاء في قصيدته، وخاتمة.

ضمنت حوصلة على ما سبق وملحق وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي التحليلي، لدراسة قصائد "ابن مسايب" وشرحها وإظهار ما تحمله من دلالات ومعاني.

لابد أن يقوم بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع: كتاب "على بولنوار، الشعر الشعبي الجزائري منطقة بوسعادة" عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، العربي دحو، الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية بمنطقة الأوراس "ديوان "ابن مسايب"، محمد الحاج الغوثي بخوشة.

من الصعوبات التي واجهتنا قلة المصادر والمراجع حول الموضوع، الأدب الشعبي عامة وشعر رثاء المدن خاصة، كذلك قلة وندرة الدراسات السابقة التي تنير لنا الطريق، إضافة إلى صعوبة بعض المفردات والكلمات العامية، مما يصعب فهم معناها في الغرب الجزائري "تلمسان".

في الختام نتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساعدنا في إنجاز بحثنا ونخص بالشكر الأستاذ المشرف – رشيد جقريف–.

مدخل

1- مفهوم الرثاء

2- مفهوم المدينة

3- الشعر الشعبي الجزائري

وإشكالية المفهوم والمصطلح

1- مفهوم الرثاء:

أ- المعنى اللغوي:

« من رثى، رثى فلان يرثيه رثيا ومرثية، إذا بكاء بعد موته، قال فإن مدحه بعد موته قبل رثاه ترثيه ورثيت الميت رثيا ورثيا ورثاء ومرثاه ومرثية مدحته بعد الموت وبيكته، ورثوت الميت أيضا إذا بكيته وعددت محاسنه وسميت نواحه، والترثي هو ندب الميت بضرب الحدود، وسق الجيوب، ورثيت له رحمته، ويقال رثى له أري رق له »[1].

ورثيت الميت « رثاه، رثوا، ورثاء: بكاه وعدد محاسنه (الرثو: اللبن الرائب يختلط بالحامظ فيتخثر، رثى الميت، رثيا ورثاء، ورثاية، ومرثاه، ومرثية، بكاه بعد موته وعدد محاسنه، ويقال رثاه بقصيدة، ورثاه بكلمة وله، رجمه ورق له وعنه الحديث رثاية: ذكره عنده، رثى رثيا ورثى أصابته الرثية، رثاه مدحه بعد موته، ترناه) رثاه وفي الحديث أنه نهى عن الترثي ندب الميت الرثاية: النواحة، الرثية: الضعف والفتور ويقال في أمره رثية والحمق وجع المفاصل أو الركب أو الأطراف وهو ما يعرف [بالروماتيزم]، وكل ما منعك من الإنبعاث من وجع أو أكبر، المرثاة: ما يرثى به الميت من شعر وغيره »[2].

رثى: يرثي رثي ورثاء ومرثية الميت رق له ورحمه، حزن لفقده، رثا ترثو رثوا الميت بكاه وعدد محاسنه.

ب- المعنى الاصطلاحي:

"الرثاء غرض شعري عرف مند أمد بعيد وسيظل معروفا وذلك لطبيعة العلاقة بينه وبين الموت فيما أن الموت قدر يعيشه الإنسان، كان للرثاء معنى لوجوده فليس: « ... في العالم أمة لم تعرف الرثاء ، كما أنه ليس فيه أمة لم

[1] محمد بن مكرم علي ابو الفصل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر بيروت، د ط، 1863، د.ج، مج 6، ص100.

[2] إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص 329.

تعرف الموت »[1]، ومنه فإن هذا الغرض الشعري يتعلق بالوجود الإنساني وهو نابع من أعماق القلب ومن شعور صادق لاسيما أنه تعلق بذكر أشياء ذا تأثير عميق في ذاتية الشاعر وحياته.

« فلا أقل عندهم من بكاء الشعراء موتاهم وإظهار أسمى آيات الشوق إليهم، في لحن وجداني حزين يفرغون فيع دفعات مواجعهم المتصدعة.

– « يرى القدامى الرثاء على أنه مدح للميت "قدامى بن جعفر" لا يرى فرقا بين الرثاء والمدح، المدح هو الثناء على الشخص في حياته، والرثاء هو الثناء عليه بعد موته غير أنه يشترط أن يذكر في المرثية ما يدر على موت المرثي، مثل كان وتولى، قضى نحبه يقول: « ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أنه بذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك »[2].

ونجد في شعر الرثاء: الندب العزاء والتأبين:

1– الندب: « معناه البكاء الحار والنواح على الميت بألفاظ يكسوها الحزن الشديد، وبعبارات مشجية يطغى عليها التفجع والأنين وطول اللوعة والحسرة، فالشاعر هنا كئيب تتمزق نفسه أسى وحسرة».

فندب الميت هنا معناه ذكر محاسنه والبكاء عليه بصوت عالي كأنه يسمع إلى درجة ترك آثار على جسد النادب تأثرا به وحسرة عليه.

2– العزاء: يفيد الدعوة إلى الصبر على الشدائد والاعتبار بما مضى، بمعنى أن الشاعر يترك الدموع والعويل وتنتقل إلى تنبيه الناس ودعوتهم إلى التفكير والتأمل في قضاء الله وحكمته.

[1] علي بولنوار: الشعر الشعبي الجزائري، منطقة بوسعادة، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2010، ص27.

[2] المرجع نفسه، ص28.

يذهب الشاعر إلى ضرورة التحلي بالصبر عند المصائب والشدائد والتخلي عن النديب وضرورة التقديم النصائح المعنوية للشخص الذي يعاني من ألم نتيجة وفاة، أو مصيبة ما، وتذكيره بأن هذا قضاء الله وقدره.

3- التأبين: فنلمس فيه نوعا من الهدوء العاطفي، يهتم الشاعر فيه بالثناء على الميت وتعداد خصاله ومناقبه فيذكر شجاعته وكرمه: التأبين ضربا من التعاطف والتعاون الاجتماعي فالشاعر فيه لا يعبر عن حزنه هو، إنما عن حزن الجماعة وما فقدته في هذا الفرد »[1].

نستخلص من هذا القول أن التأبين يتخلله نوع من الهدوء فالشاعر يقول في ذكر محاسن الميت وبعض أعماله الصالحة تخليدا لذكراه وتحسيس الجماعة بمكانته بينهم.

"بعد هذا يظهر لنا جليا أن ما أصابه النقاد كان التأبين أنا الندب والعزاء فلا معنى لوجودهما فيما ذهبوا إليه وليس معنى هذا أن المرثية الواحدة تحقق الأساليب الثلاثة دفعة واحدة، فقد يكون الرثاء في موضوع واحد ندبا شديدا وقد يكون آخر تعزية للنفس، وعند الثالثة تأنيبا »[2].

يذكر الشاعر أن الشعراء اعتمدوا في أشعارهم على مصطلح التأبين على غرار الندب والعزاء كونه مصطلح يخدم القصيدة بصورة أفضل كما لم ينفي قدرة اجتماع هذه الأساليب الثلاثة في مرتبة واحدة.

وبعد تعرضنا فيما سبق إلى تعريف الرثاء المتعلق أو الذي تعلق برثاء الأشخاص نذكر هنا رثاء الأماكن والمدن حيث أن "الرثاء توسع ليشمل رثاء المجتمع أو أمة من الإنسانية، كم تغير مفهوم الرثاء فأصبح يرثي الجماد

[1] علي بولنوار: الشعر الشعبي الجزائري منطقة بوسعادة، ص29.

[2] المرجع نفسه، ص30.

والطبيعة والبلدة أو المدينة، أو المدن"[1]، وبالتالي نفهم من هذا القول أن الرثاء في عمومه لم يقتصر فقط على الأشخاص بل تجاوز الأمر إلى رثاء المدن.

2- مفهوم المدينة:

أ- لغة:

جاء في "لسان العرب" لابن منظور أن: « المدينة من مادة مدن، يقال: مدن بالمكان أي أقام به والمدينة هي الحصن يبنى في أصطمة الأرض، مشتق من ذلك، وكل أرض يبنى بها حصن في أصطمتها فهي مدينة والنسبة إليها مدني »[2].

وجاء في "محيط المحيط" لبكرس البستاني: « المدينة المصر الجامع، وقيل الحصن يبنى في أصطمة الأرض، والمدينة أيضا الأمة، ومدن المدن تمدينا، مصرها وبناها، وتمدن الرجل تخلق بأخلاق أهل المدينة، وانتقل من حالة الخشونة والبربرة والجهل إلى حالة الظرف والأنس والمعرفة »[3].

ويصب المعنى اللغوي في حقل البناء والتعمير في واسع الأرض، وكل من يسكن الأرض فهو مدني.

ب- اصطلاحا:

من الصعب إيجاد تعريف دقيق للمدينة لأن نظرت علماء الإجتماع والإقتصاد تختلف عن نظرة الأدباء والشعراء.

---

[1] عبد القادر شريط: فن رثاء المدن قفي الشعر المغربي القديم من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني (رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها فرع الأدب المغربي القديم)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013، 2014، ص 23.

[2] ابن منظور أبو الفضل: لسان العرب، ج3، تج: عبد الله عبد الكبير وآخرون، دار المعارف، بيروت، مادة مدن، د ط، 1980، ص455.

[3] البستاني بطرس: محيط المحيط، مج8، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د،ط، ص265.

فالمدينة: "هب رمز للمكان ومركز كبير للتجمع البشري يضم بين جنباته طبقات متباينة من الناس يغلب عليها الطابع المادي بشكل عام"[1].

بالتالي نجد بأن المدينة هي المحيط الذي يحتوي عدد كبير جدا من الناس باختلاف طبقاتهم وعروقهم وعاداتهم وتقاليدهم كما أن المدينة تحتوي على جانب مادي أو يحكمها الجانب المادي الذي تلزم بتوفير المال من أجل ضمان سد حاجيات الأفراد من مأكل ومشرب وملبس أيضا.

كذلك نجد بأن المدينة في: "مركز تجاري وصناعي يجذب إليه أبناء الريف البسطاء الذين يطمحون إلى تغيير واقعهم وينفرون من حياة الريف البدائية البسيطة أملا في الكسب المادي أو العلمي الذين لا يمكن أن يتوفر لهم إلا في أجواء المدينة التي هي الحل الوحيد في تحقيق طموحاتهم"[2].

فالحياة في المدينة تختلف عن حياة الريف فالريفي يجد نفسه مجبرا على أن يغادر الريف إلى المدينة لتوفرها على متطلبات عيشه كونها تحتوي على مصانع ومحلات تجارية تساعده في بناء حياته ماديا لأن الريف يلغي هذا الأمر فحياة الريف بسيطة بدائية فلم يجد ملجأ لهم سوا المدينة لتحقيق آمالهم وأحلامهم وطموحاتهم.

من جهة أخرى نجد كل من "سوركين" و "زيمر" يعبران عن المدينة بقولهما: «تعريف المدينة يتطلب أن يؤخذ بعين الإعتبار عدد من الخصائص عندما تشترك تكون أما المدينة والتي تميز التمتع الحضري عن التمتع الريفي. وهي المهنة –البيئة– حجم التمتع المحلي، تجانس ولا تجانس السكان والتمايز والتدرج الطبقي في المجتمع»[3].

[1] عبد القادر شريط: فن رثاء المدن في الشعر المغربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري، ص 34.
[2] عبد القادر شريط: فن رثاء المدن في الشعر المغربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري، ص 35.
[3] المرجع نفسه: ص 36.

فنجد كل منهما أراد أن يجد الفروق الطبقية والطبيعية بين كل من المدينة والريف فبدأ بالمهنة حيث تختلف مهنة الأرياف عن مهنة المدينة لأن الريف في غالبيته يعتمد على الزراعة في حين المدينة تعتمد على الصناعة والتجارة خصوصا، ثم بعدها تطرق إلى البيئة وبيئة الريف ليست هي بيئة المدينة فالريف لا يحتوي على مباني وعمران بقدر ما تحمله المدينة، بعدها انتقل إلى التمتع المحلي فالمدينة تحتوي على الرفاهية أكبر من الريف، كذلك ذكر صفة التمايز والتدرج الطبقي كون المدينة تحتوي على أجناس وأعراف مختلفة باختلاف الريف الذي نجد فيه أغلب الذين يقطنون به ينتمون إلى العائلة الواحدة وأصل وعرق واحد، أما فيما يخص سمة التفاعل فيقصد بأن الحركة والحيوية تكون كبيرة في المدينة مقارنة بالريف.

3- الشعر الشعبي الجزائري بين المفهوم والمصطلح

اختلف الدارسون في الأدب الشعبي حول تسمية القصيدة الشعبية وقد استخدم الباحثون وأهل الاختصاص مجموعة من التسميات لتعيينه منها: "زجل" و"ملحون" و"شعبية" ولعل هذا الاختلاف راجع إلى كون هذا النوع من الشعر مرتبط بالشعب كونه شعر شعبي يؤخذ عن جماعة من الناس أو جماعة شعبية ومجهول المؤلف.

"وقد اعتمد أصحاب هذه الآراء على معطيات استخلصوها من النص نفسه تبدو في مجملها موضوعية.

أ – الملحون: يعتبر المصطلح الأكثر شهرة ورواجا ومن الذين ناقشوه "محمد المرزوقي "في قوله: « إن الشعر الملحون

الذي نريد أن نتحدث عنه اليوم فهو أهم من الشعر الشعبي إذ يشمل كل شعر منظوم بالعامية سواء كان معروف المؤلف أو مجهوله وسواء داخل في حياة الشعبي فأصبح ملكا له أو كان من شعر الخواص وعليه فوصف الشعر الملحون أولى من وصفه بالعامي فهو من لحن يلحن في كلامه أي أنه نطق بكلام عامي أو بلغة عامية غير

معربة »[1]، فحسب رأي "المرزوقي" فإن الشعر الملحون أهم من الشعر الشعبي فهو شامل لكل ما هو عامي ويتعلق بحياة الشعب خصوصا ويعبر عن قضايا البيئة المحلية التي يعيشها.

وهو الشعر الذي يستعمل اللغة العامية التي يستخدمها أفراد المجتمع وطبقاته في مرافق حياتهم المختلفة من أجل تسهيل عملية التبليغ والفهم في أوساط العوام.

وعليه فإن "المرزوقي" يعتقد بأن الشعر الملحون أعم من الشعر لشعبي، فالدين يطلقون على الشعر الملحون اسم الأدب الشعبي أو الشعر الشعبي إطلاقا خطأ يجب تصحيحه عند علماء هذا الفن.

« يرى أنّ مصطلح "الملحون" هو أعم من غيره من المصطلحات إذ: يشمل كل منظوم بالعامية، وسواء دخل في حياة الشعب فأصبح ملكا للشعب أو كان من شعر الخواص وعليه فوصف الشعر بالملحون أولى من وصفه بالعامي، فهو من لحن يلحن في كلامه أي نطق بلغة عامية غير معربة أما وصفه بالعامي فقد ينصرف معنى هذه الكلمة إلى عامية لغته وقد ينصرف إلى نسبته للعامية فكان وصفه بالملحون مبعدا من هذه الاحتمالات »[2].

فهو بهذا التعريف ينظر إلى هذا الشعر من زاوية اللغة المكتوبة والمنطوقة للهجة غير معربة أي أنها لا تخضع لقواعد الإعراب المعروفة في اللغة العربية الفصحى.

أما "عبد الله الركيبي": فقد وظف مصطلح الشعر الملحون دون غيره من المصطلحات الأخرى التي اعتمد عليها الباحثون كالشعر الشعبي أو العامي ونجد هذا جليا في قوله: « تماشيا مع ما شاع في بيئة المغرب العربي التي

[1] العربي دحو، الشعر الشعبي في الجزائر، النشأة، المضمون، البناء، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، شارع قيطوني عبد المالك، قسنطينة، ط3، 2015، ص29.

[2] المرجع نفسه، ص22.

عنيت بدراسة هذا الشعر، فجمعته وسجلته وقد اتخذ هذا الشعر اللهجة العامية أداة له، وبذلك كان تعبيرا عن مزاج العامة من الناس »[1].

حسب ما يقول فإنه تماشيا مع ما شاع في بيئة المغرب العربي، واهتم بدراسة الشعر الشعبي وجمعه، فهو يعبر عن حالة الشعب وعن همومه وأفراحه، وبلغته السهلة البسيطة وبأسلوب يتماشى وعقلية الجماعة.

أما "عبد الله الركيبي" فقد أطلق على هذا اللون اسم الشعر الملحون: « لما كان الشعر الملحون في معظمه تقليدا للقصيدة المعربة، فإن الفرق بينه وبينها هو في الإعراب فهو إذن من لحن يلحن، في الكلام إذ لم يراع الإعراب والقواعد اللغوية المعروفة، فهو يقصد الاختلاف بين هذا النوع من الشعر وبين الشعر الرسمي في قصية اللحن أو الخطأ في اللغة وإن كنا نومن أن هناك لحنا في اللغة الشعبية »[2].

في هذا الموضع يعبر الركيبي عن الشعر الملحون وعن تخليه عن قواعد اللغة العربية الفصحى وذكره بأن الاختلاف الحاصل بين هذا الأخير والشعر الرسمي يكمن في قضية اللحن.

ويقول أيضا: « غزا هذا اللون من الشعر الملحون كل البيئات، وتغلغل فيها، وأنشده شعراء متعلمون وغير متعلمين، ولا يمكن الحكم بأن ما قيل منه كان يردد على ألسنة الناس، ولكن المؤكد أن قصائد كثيرة منه كانت رائجة بشكل أو بآخر، وخاصة تلك التي عبرت عن رفض الاحتلال، أو التي تحسرت على الدين »[3]، فالشاعر "عبد الله الركيبي" راعى ووظف الشعر المحلون دون غيره من المصطلحات الأخرى كالزجل والشعر الشعبي حيث أكد في قوله أن الشعر الملحون هو الذي تغلغل في ثنايا المجتمع الجزائري وعبر عن آلامه وآماله.

[1] العربي دحو، الشعر الشعبي في الجزائر، النشأة، المضمون، البناء، ص24.

[2] أحمد قنشوبة، الشعر الغض، قراءات في الشعر الشعبي الجزائري، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص18.

[3] عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1401هـ-1981م، ص ص 371.

ب– الزجل: « هذا المصطلح إذ طلقه الباحث "عباس الجراري" على هذه الأشعار التي سماها غيره "بالملحون" في معرض حديثه عن اختياره الاسم المناسب للنص الشعري الشعبي مبررا اقتراحه هذا بعوامل قومية، في طليعتها توحيد المصطلح في كل الأقطار العربية مادام أغلب الأقطار يسمي هذا النوع من الشعر بـ"الزجل" »[1] هذا حسب رأيه فبعض المسائل العلمية تنمو فوق العواطف وإذا أخذنا بالدراسات الأدبية في كل الأقطار العربية نجد أن المصطلح يختلف.

"وحتى إذ غضضنا النظر عن هذه الاعتبارات وسألنا هل أن الزجل حقا هو الاسم المستخدم في كل الأقطار العربية فإن الجواب يكون بالنفي، لأننا نجد التسمية تختلف في القطر الواحد بين جهة وأخرى ونجد أسماء مختلف الرجل الحميني، الموال المبيَّتْ، الموشح"[2].

« فـ"ابن خلدون" يراه فنا مستحدثا حيث قال: "واستحدثوا فنا سموه (الزجل) والتزموا النظم فيه على مناحيهم لهذا العهد، فجاءوا فيه بالغرائب، واتسع فيه للبلاغة مجال يحسب لغتهم المستعجمة وأمول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية "أبو بكر بن قزمان" من قرطبة..."، ثم قال: "فاستحسنه أهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقة وتركوا الإعراب الذي ليس من شأنهم"... »[3].

عبر ابن خلدون عن نظرته للزجل واعتبره فنا مستحدثا من الموضح وكتب بلغة عامية متحررة من قواعد الإعراب مع إلزامه بالوزن والقافية.

وقد تنظم في غرض الإرشاد والحكمة وأورد له "ابن خلدون" مثلا "لابن شجاع":

[1] أحمد قنشوبة: الشعر الغض، قراءات في الشعر الشعبي الجزائري، ص31.

[2] المرجع نفسه، ص32.

[3] المرجع نفسه، ص14.

المال زينة الدنيا وعز النفوس يبني وجوها ليست هي باهيا

فيها كل من هو كثير الفلوس ولوه الكلام والرتبة العاليا[1].

« كما يرى المستشرق "ليفي بروفنسال" أن الموشحات والأزجال هما بمثابة دم جديد يلقح به الشعر العربي ويستمد منه حياة نابضة قوية لأن فيها انفكاك من قيود القصيدة »[2].

يعتبر أن الموشحات والأزجال لها بصمة جديد تلحق بفن الشعر حيث تعطيه ميزة إضافية وتمنحه قوة جديدة، لأن مثل هذه الأنواع تمنح القصيدة فرصة التنويع في الأوزان والقوافي.

ج- الشعر الشعبي:

تضاربت الآراء حول مفهوم مصطلح الشعر الشعبي واختلفت تسمياتهم له.

فقد تناولوه على أنه "زجل أو ملحون أو شعبي ثم فرع أصحابها العنوان الأساسي زجلا كان ملحونا أو شعبيا إلى أنواع أملتها عليها طبيعة النص الشعري نفسه"[3].

وهذا الاختلاف بين هذه التسميات الثلاث "زجل، ملحون، وشعبي" وهو نفسه الذي أدى إلى وجود فرق واختلاف حول المصطلح الذي يمكن أن نطلق على الشعر الشعبي

[1] أحمد فقنشوبة: الشعر الغض، قراءات في الشعر الشعبي الجزائري، ص14.

[2] المرجع نفسه، ص17.

[3] العربي دحو، الشعر الشعبي، ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، 1954-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص25.

كما أنه هناك من الدارسين من رأي بأن الشعر الشعبي هو الشعر الملحون، كما أطلق البعض الآخر مصطلح الزجل « على الشعر الشعبي في بيئة من البيئات ولكنه لا ينطبق على شعر بيئة أخرى لاختلاف الأوضاع الثقافية والسياسية التي يؤثر في التعبير الشعبي[1].

أما "حسين نصار" في كتابه "الشعر الشعبي العربي" فالشعبية عنده هي كل ما يعبر عن وجدان الشعب، ويمثل تفكيره، ويعكس اتجاهاته ومستوياته الحضارية، وهو ما نستشفه من قوله في معرض حديثه عن الأدب الشعبي إذ يقول: « لا أظن أحدا يعارض في أن الصورة الصافية الدقيقة للأدب الشعبي هي التي تضمن الأدب الذي يعبر عن مشاعر الشعب وأحاسيسه فالأدب الشعبي هو الأدب الذي يصدره الشعب فيعبر عن وجدانه، ويمثل تفكيره ويعكس اتجاهاته ومستوياته الحضارية »[2].

فالشعر الشعبي يدخل ضمن الأدب الشعبي وهو تعبير عن مشاعر وخلجات النفس، ويعكس كل ما هو واقع شعبي واتجاهاته ومستوياته وكل طبقات المجتمع.

يقول التلي بن الشيخ: « لقد أطلقت كلمة الشعر الشعبي بدل إطلاق كلمة المحلون التي تستخدم في الصحافة المسموعة »[3].

استخدم مصطلح الشعر الشعبي بدلا من الملحون، كما يبرر رأيه بأن هذا المصطلح ينسجم مع مصطلح الأدب الشعبي.

---

[1] التلي بن الشيخ دور الشعر في الثورة 1930-1965 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، ص366.

[2] عبد المنعم قارة، الشعر الشعبي في منطقة جيجل دراسة سميائية ، إشراف عبد المالك ضيف، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2014-2015، ص35.

[3] المرجع نفسه، ص35.

كما نجد الباحث "صالح المهدي": يقول: « فالشعر الشعبي هو الشعر العربي الذي تغلبت عليه اللهجات المحلية التي لم تطبق فيها قواعد الإعراب الخاصة باللغة العربية »[1] أي أن الشعر حسب رأيه هو الشعر العربي وما أثرت فيه اللهجات المحلية المختلفة.

"أما عبد الله الركيبي" فيرى أن الشعبية تعد من أشيع المصطلحات التي تطلق على هذا النوع من الشعر وذلك من خلال قوله: « والشائع أن صفة الشعبية في الأدب تتصرف إلى ما له عراقة وقدم، وإلى ما يعبر عن روح جماعية بالكلمة، بحيث يصبح هذا الشعر تعبيرا عن وجدان الشعب وعن قضاياه، دون الاهتمام بالقائل، إذ ينصب اهتمام المتلقي على النص وحده »[2].

فحسب رأي "عبد الله الركيبي" أن مصطلح الشعبية عنده تتعلق بكل ما هو عريق وقديم وكل ما هو معبر عن روح الجماعة ووجدان الشعب كما أنه لا يهتم بالقائل وإنما اهتم بالنص وما يحمله.

بين هذا الشعر وبين الفصيح « .نجد العامل الذي له دور في صياغة المصطلح "فالركيبي" وهو يتحدث عن مصطلح العامية لا يفصل في الإشارة إليه بين لغتي الشعر الفصيح والشعر الشعبي وإنما ينطلق من مناقشة مصطلح العامية من طبيعة القائل لهذا الشعر... في ضوء تحديد هذا المصطلح بدقة يقول: « والواقع أن الحال مختلف، فالقائل قد يكون أميا، وقد يكون متعلما بصورة أو بأخرى مثل المتلقي أيضا، ذلك أن بعض القواعد أيضا بالرغم من أنها لا تراعي القواعد اللغوية فهي في روحها فصيحة لأن ألفاظها وعباراتها مما يدخل في تركيب الفصحى لا في تركيب العامية ونسيجها وإن كان بعضها لا يراعي البحور والأدوات المعروفة »[3].

[1] عبد المنعم قارة، الشعر الشعبي بمنطقة جيجل، دراسة سيميائية، ص36.

[2] لوصيف لخضر بن الحاج، الشعر الشعبي الجزائري قضاياه وإشكالياته، مؤسسة البيت، شارع العربي التبسي، محمد بلوزداد، الجزائر، د.ط، 2015، ص14.

[3] المرجع نفسه، ص15.

ففي هذا القول تحدث "عبد الله الركيبي" عن الشاعر الشعبي وعن المتلقي ودرجة تعلمه سواءا كان أميا أو متعلما، وأن بعض القواعد حتى وأنها لم تراعي القواعد اللغوية فهي في روحها فصحى، كما أننا لا نقصد بالشعر العامي بأن قائله أمي لا معرفة له باللغة قراءة وكتابة، وقد توحي أيضا بأن المتلقي له من الأمين فقط، أما الواقع فالحال مختلف فالقائل قد يكون أميا وقد يكون متعلما.

د- نشأة الشعر الشعبي الجزائري:

إن الحديث عن نشأة الشعر الشعبي متعدد ومتنوع إلا أننا سنحاول أن نضبطه حسب آراء بعض الباحثين في الأدب الشعبي، حيث يجمع أغلب الدارسين أن الشعر يعود في أصوله إلى الموشحات الأندلسية أو ما تسمى بالشعر الحضري والقصائد الهلالية أي الشعر البدوي أو "أن المنطلقات الأولى للشعر الشعبي الجزائري تنبع من واقع الحياة التي يعيشها الشاعر، ذلك أن القضايا التي تحظى باهتمام الشاعر الشعبي ذات ارتباط وثيق بمهموم المجتمع وآلامه وجراحه، كما تعبير نصوص الشعر عن تصور الحياة التي يريدها الشاعر"[1].

بالتالي يمكن القول بان الشاعر يعبر عن قضايا وطنه أو البيئة التي يعيش فيهان فيعبر عن آلامها ومشاكلها من منظوره الشخصي.

كما نجد أن مصطلح نشأة الشعر الشعبي الجزائري من أهم القضايا والموضوعات المطروحة بكثرة إذ أنه مرة بمرحلة طويلة أو عاش فترة زمنية بمفاهيم باهتة الدلالة، إلا أننا نجد العديد من الصفات التي تمثل الشعر الشعبي ومن أهمها صفة الشعبية حيث يقول الدكتور "عبد الله الركيبي": « والشائع أن صفة الشعبية في الشعبية في الأدب

[1] التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، د.ط، 1990، الجزائر، ص11.

تنصرف إلى ما له عراقة وقدم، وإلى ما يعبر عن روح الجماعة بالكلمة، حيث يصبح هذا الشعر تعبيرا عن وجدان الشعب وعن قضاياه، دون اهتمام بالقائل،إذ ينصب اهتمام المتلقي على النص وحده »[1].

فنلاحظ من خلال هذا الرأي أن مصطلح الشعر الشعبي يتعلق بعراقته وقدمه وعدم الاهتمام بقائله بقدر ما تهم معانيه.

وبالتالي انقسمت الآراء حول وجود الشعر الشعبي الجزائري "قبل الفتح الإسلامي"، معتبرين أن أصولها الأولى تعود إلى الشعر البربري والشعر الأوروبي وهذا ما نجده عند الشاعر أو الباحث "جوزيف ديسبارمي" الذي يرى « إن الشعر المغربي بصفة عامة والشعر الجزائر على وجه الخصوص وإنما يستمد أصوله البعيد من أشعار بربرية»[2]، ونجد من أصحاب هذا الاتجاه أيضا "البيرت قيمي" في قوله: « أن الشعر كان موجودا دائما في الجزائر»[3].

أما الرأي الآخر يرجع نشأة الشعر الجزائري إلى: "الهجرة الهلالية": وهنا نذكر أو ذكر أهل هذا الاتجاه أن ظهوره يعود مباشرة إلى وجود "بني هلال" في المغرب العربي وهذا ما يؤكد "التلي بن الشيخ" في قوله: "أن العامل الذي كان له الأثر الكبير في ظهور الشيخ الشعبي هو هجرة القبائل الهلالية في منتصف القرن 5هـ، بحيث يمكن القول بأن دور الهلاليين قد أسهم في بلورة الشعير الشعبي"[4]، من خلال هذا القول نلاحظ بأن الهجرة الهلالية كان لها اثر كبير في ظهور الشعر الشعبي الجزائري.

[1] التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، ص 11.

[2] العربي دحو، الشعر الشعبي ودوره في الثورة الجزائرية الكبرى بمنطقة الأوراس، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، 1989م، الجزائر، ص32-33.

[3] المرجع نفسه، ص33.

[4] التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة، (1830م-1995م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، ص392.

– التأثير الأندلسي في الشعر الشعبي الجزائري: وفي هذا الاتجاه نجد التلي بن الشيخ يذكر بأن الهجرة الأندلسية لها بالغ الأثر في نشأة الشعر الشعبي الجزائري وقد دعم رأيه بمجموعة من الأدلة منها:

– "ابتكار أهل الأندلس الزجل كشكل شعبي للموشح، وقد اشترطوا في نظمه أن يكون باللغة العامية، خالية من قواعد الإعراب"[1].

– "لقد كان من بين مهاجري الأندلس علماء وأدباء كان لهم دور هام في نقل الثقافة والأدب من الأندلس إلى إفريقيا"[2].

من خلال هذين القولين نستنتج الدور الهام الذي لعبته الهجرة الأندلسية في ظهور ونشأة الشعر الشعبي في إفريقيا عموما والجزائر خصوصا.

بالتالي نستخلص مما ذكره بأن القصيدة الشعبية الجزائرية كانت لها جذور في مختلف الأزمنة إلا أنها لم تكن بارزة إلى مع ظهور الحملات الهلالية والأندلسية على إفريقيا كما أننا نذكر بأن المعارك والحملات العسكرية على المجتمع الجزائري أسهم في انتشار الشعر الشعبي حفاظا في هذه الفترة على الروح الوطنية والدفاع عن الصعوبة.

إلا أن في النهاية أجمع جل الدراسات على "أن نشأة الشعر الشعبي الجزائري قد شرع في تدوينه ونشره موثقا والتعليق عليه إلى منتصف القرن 19، حيث نجد نصوصا قد جمعت ونشرت مترجمة إلى اللغة الفرنسية وقد

[1] التلي بن الشيخ منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، ص26.

[2] المرجع نفسه، ص27.

عثر عليها في الدوريات (خاصة في المجلة الإفريقية)[1]، كما نجد أيضا نصوص أخرى أجمعت في مضمونها على الكفاح المسلح ضد المستعمر الفرنسي وهي نصوص موثقة ومصادق عليها.

كما أنه يجدر بنا الإشارة إلى أن الدراسة العلمية لمصطلح الشعر الشعبي الجزائري قد ظهرت بعد الاستقلال، ونجد هذا "قد جسد هذا الحضور من خلال عدد من الرسائل الجماعية، التي تم نشرها في شكل كتب، وبعض آخر من الأبحاث المستقلة أو المنجزة، في إطار وحدات بحث أو مقالات أو مطبوعات تم إصدارها عن هيئات البحث العلمي في الجماعة، وفي فضاءات ملتقيات الفكر والأدب"[2].

كما يمكننا القول بأن بعد الاستقلال قد حصل الشاعر على حريته للتعبير عن أوضاع حياته وبيئة ففي سنة 1904 "والتي يسميها الدارسون والمؤرخون لسنة الشعر الشعبي الجزائري ظهر مؤلف: "كشف القناع عن آلات السماع" "لأبي الغوثي بن محمد"، اعتنى فيه صاحبه بالشعر الغنائي، وميز فيه بين الأندلسي والحوزي والعروبي "[3]، حيث نلاحظ هنا أن فترة التسعينات هي البداية الفعلية للشعر الشعبي الجزائري، كما نجد في هذه الفترة بروز مجموعة من المؤلفات والدواوين الشعرية كما جمعت أيضا مجموعات من القصائد التي تهتم بشعر المقاومة والثورة المسلحة.

[1] حياة بوخلط، صورة المرأة في الشعر الشعبي الجزائري، شعر البشير قذيفة أنموذجا، إشراف علي بولنوار، (رسالة ماجستر، أدب شعبي جزائري)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2009-2010، ص19.

[2] المرجع نفسه، ص22.

[3] المرجع نفسه، ص21.

الفصل الأول: الشعر الشعبي الجزائري الموضوعات والمضامين والأغراض والخصائص

1- موضوعات ومضامين الشعر الشعبي الجزائري

2- خصائص ومميزات الشعر الشعبي الجزائري.

3- رثاء المدن في الشعر الجزائري الفصيح

4- رثاء المدن في الشعر الشعبي الجزائري.

1- موضوعات ومضامين الشعر الشعبي الجزائري:

تعددت الأغراض والموضوعات في الشعر الشعبي الجزائري وذلك لما خاضته الجزائر من معارك مع الأجانب الأتراك والفرنسيين وغيرها وظهرت أغراض عدة كالغرض الديني والمدح الوصف، الحماس.

أ- الغرض الديني: "يقول « الركيبي »: « إذن فقد عاشت الموشحات والأزجال الدينية مند عصور قديمة لابد أنه كان لها أثرها في الشعر "الملحون" أثناء حكم الأتراك للجزائر فانتشرت القصائد الدينية من المديح وتوسل، وتقرب إلى الله وابتهال، وذكر الأولياء ووصف الخمرة الآلهية وما إليها »[1].

وحسب قوله أن هذه الفترة التي حكم فيها الأتراك الجزائر ونظرا إلى تلك الظروف السائدة في تلك الفترة راح الشعراء الجزائريون ينظمون قصائد تناولوا فيها مواضيع دينية فقد رجعوا إلى الدين والتوسل لله والتقرب منه وطلب الدعاء بعد ضعفهم وذلك لما تحمله الحروب من تجهيل وتجويع وغيرها.

« وحقا كانت هذه الفترة فترة الشعر الديني نظرا لما كان عليه المجتمع الجزائري من فقر وبؤس وأمية ونظرا لكون البيئات العربية والإسلامية قد عرفت في هذا الاتجاه بعد كساد الأدبية وسيطرة القلق والحزن على النفوس... فلم يبق أمام الشعراء غير الدين للاحتماء به ومناجاة الله لتخليصهم مما هم فيه من أوضاع مزرية بالية »[2].

والحق أنه يضاف إلى هذا الغرض الديني التشويق إلى بيت الله الحرام وإلى زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة خاصة منهم الأبطال الذين قادوا الغزوات والفتوحات الإسلامية ومن بين هذه الشخصيات كالإمام علي التي نجذها تذكر في النصوص الشعرية الشعبية.

[1] العربي دحو، الشعر الشعبي في الجزائر: المصدر السابق، ص52.

[2] المرجع نفسه، ص53.

اتخذ شعراء الشعبيين من هذا الغرض حافزا لأشعارهم بإضافة التشويق إلى زيارة بين الله وترغيب النفوس وتحبيبها في الوقوف أمام قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

ب– المدح: "نجده يوافق شخصية الممدوح في كل المواضع ونجده يخلع عليها أوصافا ونعوتا كتلك التي نجدها عند الشاعر المدرسي ومن الذين كان لهم إسهام في الموضوع "الطاهر بن حواء الذي مدح الأمير عبد القادر في قصيدته الطويلة:

"البَرْ والبَحْرْ كل حَاشْداتْ لَعفَارِكْ أَعْبَاتْ من السِياسَة وحَارتْ المُلوكْ

اسْمَى وأعْلَى أَشْرفْ المُلوكْ عَالِي قَدْرِكْ ارْجَالْ الأَرْضْ ومْلاَيْكْ السْمَا عَزُوكْ

فُوقْ الجُنودْ وعَلى البُنودْ بَنَدْ بَنْدِكْ بِالفَخْرْ واليِتْها وَاعدْ لَه للسْمَا مَسْمُوك

وعْلَى اللِي مَعلِي جْمِيعْ عَلى قْدْرِكْ أَرجْحتْ بالمْوَاثِيلْ وِينْ مَا وْزنُوكْ[1].

اعتمد الشاعر هذا الغرض في مدح أبطال المقاومة وإبراز بطولاتهم في مواجهة الإستعمار كذلك العلماء ورجال الدين الذين قصدوا للإحتلال الفرنسي والدفاع عن عقيدة الفرد الجزائري المسلم.

أيضا في هذا الغرض نجد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في شعر "الأخضر بن خلوف" في قصيدة "أحسن ما يقال".

يقول الشاعر:

"احْسنْ مَا يْقالْ عَنْدِي بَاسْمْ الله وبِيكْ نَبدَا

[1] العربي دحو، الشعر الشعبي في الجزائر: المصدر السابق، ص54.

حَبكْ في سُلطانْ جَسدِي مَا عزَكْ يَا عِينْ وَحدَة

قْدَرْ النَحْلة اللِي تَسْدِي يَبْنِي شَهْدة فُوق شَهْدة

يا مُحَمدْ أَنْتَ سِيدِي صَلّى الله عَلَيْك لِنَبْدا"[1].

الشاعر يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصفه بأنه لا أحد أعز منه ويدعوا إلى أن صلي عليه الله طول الزمان وللأبد.

– كما يقول الشاعر عامر أم هاني الذي هو الآخر نظم في هذا الغرض في مطولة بعنوان "أنوار محمد" صلى الله عليه وسلم التي نلمس فيها عاطفة دينية صادقة طافحة بالأمل والرجاء في الشفاعة يوم القيامة يقول في أبيات من هذه القصيدة:

"خِيَرْ زُوجْ أَعْبادْ مْنْ بِيتْ النَسبْ وَجْدُودْهَمْ في قَوْمهْم سَادة لِسِيَادَة

عَبدْ الله وَلْدْ عَبْد المُطلبْ آمْنة بِنتْ وَهبْ مِنْ لمْجادْ

حَصلتْ بَرسُولْ مَاحَستْ بِتعبْ كِفَاشْ تتعَبْ حَامْله خِيرْ العِبادْ

وَضعَتْ فِيُوم والنَاس أتَمْ حب والأرضْ هي بَشرتْ مُحمدْ زَادْ

رِيحْ العَطرْ لاَحْ وكْسَاوْ المظْرب نُور سَاطعْ بضيَاعْ لاح البْعَادْ

اقْصُورْ الشَام أضْواتْ في لِيلْ أمُوقبْ ديوَانْ كَسرَى رابْلْ هذا النِشيادْ

نَارْ المَجُوس خَامدة كَانْتْ تَلهَبْ والكَنيسَة أتْصَدْمتْ طَاحُوا العِمادْ"[2]

[1] التلي بن الشيخ، دراسات في الأدب الشعبي، د.ط، د.ت، المؤسسة الوطنية للكتاب 3، شارع زيغود يوسف، الجزائر، ص51.

[2] علي بولنوار، الشعر الجزائري، ص117.

تحدث الشاعر في أبياته عن زوجين من البيت الشريف فذكر النسب "عبد الله ولد عبد المطلب" "وآمنة بن وهب"، ثم تحدث عن "أمنة" وعدم إحساسها بالتعب أو آلام عند ولادتها لمحمد صلى الله عليه وسلم فهي تحمل خير الخلق، وعند وضعه صور لنا كيف بشرت الأرض بقدومه جاء معه ريح العطر وأضاء الشام وكسرى بنوره، وخمدت نار المجوس.

كما يقول أيضا:

"عَاشْ التِيمْ رَسُولنَا ياك اتْعذْبْ وَتْلاوَحْ بين لَعْمامْ والأجْدادْ

صَابرْ للقَضاءْ أتْقُولْ عَبدْ أَمجربْ عَاقْلْ مْتأدبْ مْهُوشِي شرَّادْ

يَسْعدْ مِنْ أكْفلْ ذا الطْفلْ أَمهذْبْ والبِيتْ لدَاخلْ خِيرْ يَرِيَادْ

يَستهِزْ بِصمَامْهمْ عنْهَا يَعقبْ شَركْ قَومْ بَعدْ رَبْز ونْجادْ

ما شْربْ خمْرْ مَا كلْ ذَبه النَصبْ مَا يغْتبْ مَاهبْ في قَلبْ فَسادْ

سَماوَهْ لِمينْ عْمرْ مَا يْكذْب يَتمنَى فالخِير مَهُوسِي حْسادْ"[1].

ذكر الشاعر بعض صفات الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه عاش يتيما معذبا وكان صبورا واتسم بحسن أدبه لم يسجد لأي منها كان عابدا لله وحده واستهزء بأصنامهم ومن صفاته أيضا أنه لم يشرب الخمر وكان أمينا، ولم يغتب أحد متسامحا متمنيا الخير للكل.

كما احتوى المديح النبوي في الشعر الشعبي الجزائري على مجموعة من الموضوعات نذكر منها:

[1] علي بولنوار، الشعر الجزائري، ص119.

– الشوق للنبي صل الله عليه وسلم: عبر الشعراء عن مدى حبهم وشوقهم للقاء خير الأنام فعبروا عن هذا في شعرهم وهذا ما أشاذ به "ابن مسايب" في قصيدته حيث يقول:

لَوْ صِبتْ نمَشِي له زَايرْ لِعنْده تزُولْ أَحزَانِي

لَوْ جْبرتْ مَع الرْجَالاَ نْشُوفْ الحْبيبْ مِن وَلاَنِي

لَوْ كَانْ قَلبِي دَايمَا صَانكْ أنَا ضَجيتْ تَحتْ عْلاَمَكْ

"فابن مسايب" يخبرنا بأن شوقه لحبيب المصطفى قد سيطر على وجدانه فهو يريد أن يذهب إليه فلا تعييه مشقة الطريق ما دام ذهبه إليه سيشفي مرضه ويصون نفسه.

كما عبر عن مدى وحدته وغربته في هذه الحياة فيناشد بذلك البني صلى الله عليه وسلم في قوله:

طَالَ الضُرْ وَلاَلِي طِبيبْ نْتوحِيش خْيال الحْبِيبِي

بَاقِي هَايْم وَحدِي غَريبْ مَا وَلِي شِيء لِيَا

مِن نَهْواهَا لِراهَا مْشاتْ لَكنْ بِلاَ سَبةْ

نَطلبكْ يَا رَبِي لحَبِيبْ رَانِي مْن ذَا الْغْدرْ مْكينْ[1]

ففي هذه الأبيات يرى الشاعر بأن الدواء الذي سيشفيه من مرضه هو زيارة النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الزيارة يتعافى من علته.

فالشاعر أقدم على مدح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك من أجل نيل رضا وشفاعة الله تعالى.

[1] عبد اللطيف حني: المدائح النبوية في الشعر الشعبي الجزائري، كلية الآداب واللغات، العددان العاشر والحادي عشر، جانفي-وجوان 2012، ص72.

– الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم: عالج الشعراء الشعبيون موضوع الصلاة على النبي الكريم لعلمه بمدى أهيمتها وقيمتها عند الله تعالى فتناولوها في قصائدهم ونجد من الشعراء الذين وظفوها "المنداسي" يقول:

والسَلامْ علَى الهَادِي مَا تْراكْمْ القُولْ مَنْ كنُوزْ على القُومْ الضَالَة خَوافِي

مَنْ عْليهْ الله صَلى فِي قْديمْ الزْمانْ قْبلْ كُونْ الكُون ولاَ كَان كُونْ قَبلَهْ[1]

"فالمنداسي" يصلي على النبي الحبيب تنفيذا لأمر الله تعالى الذي يحدث بضرورة الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لنيل الحسنات والثواب.

ويضيف "المنداسي" أنه من الضروري المدح والثناء على أهمية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فمن خلالها يتقبل الله أعمال العباد ويبارك فيها يقول:

عْليكْ صَلى الله يَا مِفتاحْ كُل بَابْ يَا اللِي بَعْثَكْ الله الكُلْ دَاءْ طْبِيبْ

الصْلاَة عْليكْ ولأَصحَابْكْ البَدُورْ والرْضَا عَن شَافُوا وَجْهكْ الحْسِينْ[2]

فالشاعر هنا يجد في صلاته على الرسول صلى الله عليه وسلم مفتاحا لكل باب مغلق وطبيب لكل داء.

ويوظف الشاعر "ابن التريكي" الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فوظفها في شعره رغب منه في التغلب عن الأسقام التي اكتسحت جسده فيدعوا الله ويترجاه عن طريق مدحه للنبي الكريم يقول:

صَلُوا عَلى مُحَمدْ المُخْتَارْ

[1] عبد اللطيف حني: المدائح النبوية في الشعر الشعبي الجزائري، ص 75.
[2] المرجع نفسه، ص 76.

تَاجْ العُلى سُلطَانْ كُل الأَقمَارْ

بِه يَتْجلَى عَنِي جْمِيعْ الأَغْيَارْ[1]

ويضيف "المنداسي" في مدحه للرسول صلى الله وسلم وثناءه عليه يقول:

صَلُوا عْلِيهْ مَا دَامتْ الدَنيَا

مَالُو شْبِيهْ سُلطَانْ الأَنْبيَا

لوْصِبتْ فيه نَنظَرْ أَبعِينِيَا[2]

فالشاعر يحثنا في هذه الأبيات بضرورة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ما دام في العمر بقية كما يخبرنا بأن رسولنا الكريم ليس له شبيه في هذه الدنيا فهو سلطان الحياة.

– التغني بجمال النبي صلى الله عليه وسلم: تغنى الشعراء الشعبيون بجمال النبي صلى الله عليه وسلم في قصائدهم فسردوا جمال أخلاقه وتصرفاته فعبروا بذلك عن مدى حبهم وتعلهم به وهذا ما نجده عند "المنداسي" حيث يقول:

فَالرَسُول العَرْبي أَكْرمْ خَلق مِن الرُسُل مُنذْ جَاء الشِركْ أَضْمحَلْ

احْمَد المَبحُوثْ فِيما رَحمَة خِبرة مَنْ قَامْ بالحَقْ وكَفْل[3]

[1] عبد اللطيف حني، المدائح النبوية في الشعر الشعبي الجزائري، ص77.

[2] المرجع نفسه، ص 77.

[3] المرجع نفسه، ص78.

"فالمنداسي" يخبرنا عن مدى رفعة أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وأنه اشرف المرسلين ورحمة للعالمين ويحكم بين الناس بالحق والعدل.

أما الشاعر "ابن التريكي" يبدي اهتمام كبيرا بالنبي صلى الله عليه وسلم وحبه الشديد له راجيا من المولى عز وجل أن يجازيه على هذا الحب بأن يغفر له خطاياه وزلاته يقول:

انَا فْنيتْ مِن حُبْ سِيدْ الخُلقْ

صَاحَبْ الْحْديثْ قَال فاَكْلاَمُو انْطَقْ

وإذَا خْطِيتْ رَبِي بيا يَرفَقْ[1].

ثم بعد هذا يزداد شوق "ابن مسايب" إلى درجة دعاء الله إلى أن يمنحه الصبر حتى يلاقي النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

يَا الله صَبرِني حَتى يْجِي أَجَلِي نْلتْقى بالْرْسُول ونَدخْل مْدَاخْلهْ[2]

كما يواصل "مسايب" تحليه بالصبر للقاء الرسول صلى الله عليه وسلم وشوقه الكبير له حيث يقول:

طُول الدَهر نَرجَاك وَتْمنيتْ نَلقَاكْ

كِيفْ القَلبْ يَنْسَاكْ يَا ضْيَا عِينِي يَا بَدر التِمَامْ

مَنْ لاَذاقْ هَواكْ وَاشْ جَربْ فِي الدَنيَا مِنْ أحْكَامْ[3].

[1] عبد اللطيف حني، المدائح النبوية في الشعر الشعبي الجزائري، ص79.

[2] المرجع نفسه، ص 79.

[3] المرجع نفسه، ص 73.

فالشاعر ها هنا يحث نفسه على ضرورة الإبقاء على الصبر مهما كان الزمن طويل فشوقه وحنينه للنبي الكريم علق قلبه به وشبهه بالبدر الكامل.

كما نجد الشاعر "ابن مسايب" في قصيدته "الحارم يا رسول" يقدم على مدح النبي صلى الله عليه وسلم واعترافه بمعاصيه وآثامه وذلك رغبة في شفاعته يقول في القسم الأول من القصيدة:

خَيْفَا نْجيتْ عَندكْ قَاصدْ يَا صَاحبْ الشَفاعْ الأَمْجدْ

خُوفِي بَزلتِي نَتْمَرمَدْ يُومْ الوُقوفْ عِندَ الله

عَارِي عْليكْ يَا مُحمدْ عَارْ الغْلامْ علَى مُولاَهْ

عَارْ عْليكْ يا بَا الْقَاسْمْ صَاحْبْ اللِواءْ والخَاتمْ

رانِي عَلى أَفعالِي نَادمْ مَا درتْ باشْ نلْقَى الله

مَا تَبتْ مَا قْريبْ اللاَزم ابْليس غَرني بَهَوَاهْ

إبْليسْ غَرني شِيطَانِي فِي شَبْكَةْ الذْنُوبْ رَمَانِي

ضَيعَتْ في الغْرُورْ زْمانِي والشِيبْ للغَدارْ أَطمأَهْ[1]

ج- الغزل: يعد شعر الغزل من الأغراض الشعرية التي أسهبت وأكثر فيها شعراء الملحون أو الشعر الشعبي كغيرهم من شعراء اللغة المعربة « الغزل منبعه المرأة ففيها يتجسد الحب والجمال، وعلاقة المرأة بالرجل علاقة قديمة

[1] محمد بن الحاج الغوتي بخوشة: ديوان ابن مسايب، ابن خلدون للنشر والتوزيع، تلمسان-الجزائر، د،ط، أكتوبر 2001، ص158.

قدم البشرية نفسها »[1].

فهذا الغرض يرتبط ارتباطا مطلق بالمرأة التي تعد هي المصدر الأسس له وذلك لأن الشاعر ينشده في محبوية ويظهر ما يدور في داخله من أحاسيس وما يعانيه.

ومن الشعراء الشعبيين الذين أجادوا فيه نجد "مصطفى بن إبراهيم"

"إن الغزل في تصور مصطفى بن ابراهيم يعبر عن حياة الترف والجاه ووصف الجو الذي يتم فيه اللقاء مع الحبيبة.

يقول في قصيدته "سرج يا فارس اللطام"

سَرجْ يا فَارسْ اللَطامْ للْبهْجا رُوحْ يَا خْلِيلِي

يَشضْف مَنا بْلا مْقامْ للزْهرَاءْ رُوحْ عِيدْ رُسْلِي

تُوصَلْ مَرخُوفَة الحُزامْ فِي وَهرْانْ سَاكنَة غْزالِي

الأزْرقْ شَلْواحْ للجَامْ يَتحُومَل صَد جَايْ فَالِي

قُرصَان البَحْرْ كَانْ عَامْ إذَا سَكنَه الرِيحْ مجلِي[2].

ويقول أيضا:

حَالِي مَا يَشبهْ بْحالْ وَصفَى مَاتُو صَفهْ بْصيفَهْ

كُلْ لِيلَة تَزلْ المُحَال مَحنهْ تَغدَا وديك تَلفَى

[1] علي بولنوار، الشعر الشعبي الجزائري، ص233.

[2] التلي بن الشيخ، دراسات في الأدب الشعبي، المؤسسة الوطنية للكتاب 3، شارع زيروت يوسف الجزائر، 1989، ص94.

مِنْ وَحشْ صَفاوْة الهِلالْ مَشنَاقْ حَيالها الهَايفَة

الحُبْ يزِيدْني هْبالْ العِشقْ ولاَ عَطا عَفة

سَلبْتي رِينةَ الدَلال الزَهراءْ حَمرَة الشَفِيفَة

غَرِيْة دْوَارْها الحَالْ نْعمانْ عَلى الخْدودْ صْفَى

عَشوْة تَضْوى كالهْلالْ للَيلَة عَشرة كَمالْ ووفَاءْ[1].

في هذه الأبيات وصف للزهراء حبيبة الشاعر وتعبيرا لما آل إليه حاله في البعد عن حبيبته وما يعانيهن من شوق إليها.

كما عبر الشاعر "إبراهيم بن سمينة" من ابرز الشعراء الذين تباعدت المسافات بينهم حيث يقول:

"لاَ مَن دَار جْميلْ بَلغْ مَحمودَه يَشفَى عنْ سبَابْ يُوصلْ سْعودَه

مُختَارْ مَنْ يَشقَى على سْبايَا يْبردْ عَضايْ من لَهيب النَارْ

ويُوصلْ حبْيِبي اللِي عْليهْ غْنايَا ونَطفُوا جَراحِي ومَا صَايضَة لَفكَارْ

مَغْبونْ ضَاحِي ولَعبَار رْوايَا وَحارَمْ منَال اللِي علَى لشفَارَه"[2]

حيث يعبر الشاعر في هذه الأبيات عن مدى شوقه إلى محبوبته ويشكو الآلام التي تعتريه ويبحث عن من يوصل لها هاته الآلام والجروح التي تعتريه إلى محبوبته ويخبرها بها.

[1] المرجع السابق، ص96.

[2] بن حمدة محمد الصالح، جماليات الخطاب الشعري الشعبي الجزائري، ضوء المنهج الأسلوبي، أطروحة دكتوراه الطور الثالث ل.م.ه.في اللغة والأدب العربي أدب عربي قديم، قسم اللغة والأدب العربي كلية الأدب جامعة غرداية، الجزائر، 2020-2021.

ونجد شاعر آخر يعبر عن هذه التجربة في أشعاره هو الخضر بن السايح حيث يعبر عن مدى معاناته ومدى شوقه إلى محبوبته.

د- غرض الهجاء: « ويسمى عند شعراء الملحون (الشنا)، من شناه يشنوه أي يحقد عليه ويكرهه وهذا الباب له فروع منها: الهجاء العادي السليم الذي يختار صاحبه العبارة المحتشمة والكلمة غير النابلة، فهو أقرب إلى باب العتاب الشديد، ومنها الهجاء المقنع الذي يعتبر الصفات السمجة في المهجو والعبارات النابية والكلمات البذئية، ومنها ما يختلط فيه الهجاء بالفكاهة ويقصد من هذا النوع الترفيه والضحك في المقام الأول »[1]

ونجد أحد الشعراء يقول في قصيدته "حال الدنيا"

واللِي قْبيلْ كَانوا هُما الأمْرا غَادُوا اليُومْ في الحَفرةْ حَتى بَارِدْ

واللِي قْبيلْ كَانوا تَحت الحَمارَة عَادُوا اليُوم هُوما يَنزَارُوا

هَذا اليُوم حَال الدَنيا الغَرارَة تَرفَع الشِينْ وتَحفظْ خيَارُو[2]

في هذه الأبيات يهجوا الشاعر الأمراء الذين كانوا أصحاب مقام فصاروا في الحفرة وسقطت مكانتهم ومن كانوا لا يملكون سيئا أصبحوا ذو مكانة، فيرى أن الدنيا تعطي لمن لا يستحق فالجيد صاحب الأخلاق يهان والقبيح يأخذ المكانة العليا بين الناس.

هـ- الرثاء: الرثاء من أكثر الأغراض الشعرية علوقا بالوجدان البشري الأمر الذي يفرز ويغرض حقيقة مفادها أن

[1] محمد المرزوقي، الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر، د.ط، 1967، ص198.

[2] ديوان الشاعر محمد بن قيطون جمع وشرح احمد عاشور صدر بدع من وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني لترقية فنون الأدان

هذا الفن الشعري تعلوه أصدق المشاعر الإنسانية[1].

يحمل الرثاء أصدق الكلمات والتعابير، وأصدق الأحاسيس كيف لا وهو تابع من أعماق القلب يتضمن أوجاعا لا تقاس بتلك الكلمات تحمل في طياتها شوقا لمن فارقوا الحياة وما تركوا وراءهم إلا الذكريات، ذكريات تجعل من الشاعر يرثي فقيده ويبدي حزنه.

يقول الشاعر عبد الغفار في رثاءه لأبيه حين هاجمته ذكريات:

وتَفكرْتْ أمْعاهْ بَابَا وَاش عَديتْ كَانْ مْشارَكَنِي أفْراحِي واحْزانِي

مَا تَحلاَلو مَاكلْة غِير إلَى جِيتْ مَا يَستطِيبْ نُوم قَا إلى سَمانِي

يَتحيَر ويَضيقْ لكن اتنوِيتْ مَا يهْدا لُو بَالْ قا إلى رْضانِي

إذا سَافر جَابلِي واشْ حَبيتْ تْواحشْني مَايْ طِيقشْ ينْسانِي

نتْفكَر في كُل مَضربْ فيه امْشيتْ ذا السَاحاتْ اجْميعْ فيها مَشانِي[2].

كما نجد شاعر آخر في منطقة سوف قد أبدع في التصوير والتعبير عن آلامه عن فقدان من هم اقرب الناس إليه فهذا الشاعر "علي عناد" يرثي صديقه الشاعر "الساسي حمادي" يقول:

« غِيبْ سَفر مُولاكْ يا تَصويرْ نْخبيكْ نَستْحفظْ عْليكْ دْخيرْ

نْخبيكْ في كَراسَةْ وَنْشوفْلكْ مَضربْ أعَزْ بلاَصةَ

وقَررتْ قُلتْ نْديرْلكْ عَساسةْ يَحمُوكْ في عَيانِي عَن التَغييرَه

[1] علي بولنوار، الشعر الشعبي الجزائري، المرجع السابق، ص27.

[2] علي بولنوار، الشعر الشعبي الجزائري، المرجع السابق، ص40-41.

الله يَرحمَه ويُوجد سْلاكْ خْلاصَة وَيغفَر ذْنوبَه الله بَاسطْ خِيرهْ »[1].

الشاعر هنا يخبرنا عن مدى حزنه بعدما فارقه صديقه وغيابه عنه ويخبرنا عما كان ينوي أن يفعله به لو عاد إليه مع ما يعتري كلامه من نبرة حزن وأسى.

ثم بعدها ينتقل الشاعر إلى مساءلة نفسه عم حل بصديقه بعد وفاته متمنيا له أن يلاقي خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم يقول:

يَسكنْ في دَارهْ اتَقىَ مْشي فَارقْ عَربْ الحَارهْ

يَا ليتْ راوَاشْ حَالتْه واخْباره الله يَجعلهْ مجَاور حْسينْ السِيره

فِي حَال لاَ سفَار وَجِي لَصغَاره بِحالْ لاَ هَدفْ ع الصَافيةْ وبَشرهْ[2].

فالشاعر في هذه الأبيات يتمنى لصديقه حياة النعيم في الجنة وفي أعلى المراتب مع النبي الكريم وأن يكون يحاوره.

والرثاء في صورته العامة قريب جدا من صور الفخر والحماسة والمديح إلا أن هذه الصفات هنا تكون في ذكر فضائل الميت[3].

فالشاعر يقوم بذكر خصائل الميت أي كل محاسنه كرمه وجوده شجاعته وبطولاته تسامحه وعفوه وذكر كل ما فيه من صفات حسنة.

كما نجد الشاعر "محمد بن مسايب" أبدع في هذا الغرض فنظم قصيدة بعنوان "يا أهل الله" ويقول فيها:

[1] محمد الصالح بن علي، من روائع الشعر الشعبي على عناد، مديرية الثقافة لولاية الوادي، الجزائر، ط1، 2008م، ص130.

[2] محمد الصالح بن علي، من روائع الشعر الشعبي على عناد ، المرجع السابق، ص130-131.

[3] منذر ديب كفافي، الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية دراسة في الشعر والمضمون، جامعة الإسراء الخاصة الأردن، عالم الكتب الحديث، 2006، ص143.

« يا أَهلْ الله غِيثُوا المَلهُوفْ مِنْ قَبلْ أَنْ تَشْعلْ نَارْ الجُوفْ

كِيفْ يهْنى مَن أسْكنهْ خُوفْ وانزَحمْ طَلابُو لحَقوهْ

وأيْن أهْل الله كُلّتهم وعسَى تحْضرْ بركَاتهمْ

تحْضرْ لنَا عَايتهمْ نَدركْ شيا اللِي دَركوهْ

وأيْن أهْل الله بالجُملةَ نشرقْ وغرب جُوف وقُبلة

مِنهم سيِدي عبد الله التُهامِي الحَسني بَسطَة[1].

فمن خلال هذه الأبيات نجد أن الشاعر يستغيث بأهل الله من خوفه والأولياء ظنا منه حضور بركاتهم وأن يشفعوا له فقد نظم هذه القصيدة بعد وقاعة عامل تلمسان بوقته أمر بقتله لشهرته بالتشبب بمحارم الناس .

و- التصوف: يعد التصوف حالة وجدانية يعيشها الإنسان متوجا قلبه بالصدق والإخلاص لله رب العالمين وهو النظر إلى الأكابر في عبادتهم لله ومحاولة السير على نهجهم.

فالتصرف غرض من أغراض الشعر الشعبي ويمكن القول أنه "لخضر بن خلوف" قد أجاد في شعر التصوف مثلما أجاد في المدح أو التوسل يقول في قصيدة له:

« يا مْحمدْ لِيك يَفزعْ مَن لُه في النَاس وَالِي

لا غَيركْ مَناعْ يَمنعْ مِن سَطرَة مُولَى الوَالِي

لاَ غَيركْ شَفيعْ يَشْفعْ مِن هُو عْرَى بْحَالِي

[1] محمد بن الحاج الغوثي، ديوان ابن مسايب، ابن خلدون تلمسان الجزائر، أكتوبر، 2001، ص183.

رَاغبْ في الدَنيَا لْوحْدِي في نَفْسِي شْفيتْ الأعْداءْ

يا قَطْعانْ يَدي بَيدِي مَا نفْلتْ حَتى بْسجدَة[1].

في هذه الأبيات يظهر لنا خوف (الكاتب) الشعر وفزعه من تقصيره في عبادة الله وطلبه ورغبته في الشفاعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم لا يشفع مال ولا بنون إلا شفاعة الرسول أمام الله.

في موضع آخر "ابن خلوف"، نظم في هذا الغرض مستغيثا بالأنبياء والرسل، رغبة في عتقه من النار، يقول في قصيدة له:

يا رَبي بْجاهْ الأنْبياءْ والرُسْلا والنَابعِينْ

اغْفر لِي بجاه الأَتقِيَا والأنَصارْ والمْهاجْرِينْ

امْنعْني مَنْ نَارْ حَامية الأَخْضرْ واللِي حَاضرِينْ[2].

في هذه الأبيات يتضح لنا أنا الشاعر يطلب الشفاعة من الأولياء والأنبياء والأنصار والمهاجرين، وأن يمنع عنه نار جهنم.

يقول أيضا:

"يا مْحَمْد أَنتَ الأَمْجدْ تَصرخْ بِيكْ النَاس شَتى

فِي قَبْري بَاغيكْ تُوجدْ للجْنةَ مِفتَاحْ أَنتَ

[1] التلي بن الشيخ، دراسات في الأدب الشعبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص60.

[2] الأخضر بن خلوف، ديوان سيدي لخضر بن خلوف، جمعه وقدمه محمد الحاج الغوثي بخوشة، نشر ابن خلدون تلمسان، الجزائر، د ط، د تن، ص86.

الكَافرْ في النَار يَخلدْ والعَاصِي يَرْجاكْ حتَى

ومْلايْك رَب تْنادِي اعْرفْ راسَك يا مْحمَدا

يَا سِيدْ رُقيةَ تْنادِي بِينْ يَدينْ الله سَجدَا"[1].

في هذه الأبيات يبدأها الشاعر بطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحضر حينما يوضع في قبره ويشفع له، والقبر عنده هو فارق بين الشقاء والراحة الأبدية، وبين السعادة والتعاسة، وبين الجنة والنار.

ي- غرض الوصف: "يقول صاحب العمدة "الشعر إلا اقله راجع إلى باب الوصف ولا سبيل إلى حصره واستقصائه" لدى ففي جميع الأغراض لابد من اعتماد الوصف ودونه لا تستقيم الصور الشعرية وهو في الحرب حماسة وفي الحسب والنسب والشجاعة فخر، وفي المحاسن غزل وفي الفضائل مديح وفي الحزن رثاء"[2].

الوصف غرض يحضر في جميع أغراض الشعر، فهو وصف للحي والجامد، فالشاعر صف الطبيعة والمعارك ففي الطبيعة نجد وصف "للخيل"، ومن الشعراء الذين تناولوا هذا الأخير الشاعر "عبد الغفار الحفيظ" يقول:

أَخرْتْ أنْحوسْ ضَايقَة نَفسي تَعبانْ أَوسعْ الَمدينةَ كيْ الخَاتمْ وَلالِي

مَتعودْ طبيعتِي مَن شَادْ ازْمانْ هَربْ كِي تَضياقْ للبِر الخَالِي

نَتامَلْ في مَا اخْلقْ عَظيمْ الشَانْ سُبحانَه بَسماهْ نَبدَاى مْقالِي[3]

يقول أيضا: وتْكَلَّمْ عَالخَيل ربِي فالقُرآن وَاحدْ وحْدُو لا شْريكْ أولاَ وآلِي

[1] التلي بن الشيخ، دراسات في الأدب الشعبي، ص61.

[2] علي بولنوار، الشعر الشعبي الجزائري، منطقة بوسعادة، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 2010، ص151.

[3] المرجع نفسه، ص 152.

هنا يذكر بأن الله سبحانه وتعالى قد تكلم عن الخيل في القرآن الكريم.

يتابع الشاعر قوله للحديث عن ألوان الخيل مشير إلى أن الله سبحانه يقول:

"سُبحانَكْ يا جَاعَلْ أمْن الخَيل أَلوانْ دِقة في التَصويرْ صَفكْ مِثالِي

ولقد حدد ألوانا أربعة للخير والملاحظة أنه لم يكد يذكر لونا إلا وألحقه بتشبيه بمظهر من مظاهر الطبيعة"[1].

في شعره وصف للطبيعة وتجليات لإبداع الخالق يعتمد التشبيه.

كما استخدم الشاعر غرض الوصف في وصفه للمعارك والثورة التحريرية المباركة.

أَولادْ الجزَائرْ تَعلُو والفُتنْ قَدُو أحْزانُه

لا يَرهبُو لا ينْذلُو لا نْكيدْ هَمش اجَابَة

يقِسْ على هِبةْ الرِيجْ مَا شِينْ فوق السَحابَة

بالنُورْ وبالمَصابِيحْ كِي يُوهرْ من عْيابَه

تقول:

الدَمْ فالأرْضْ غَدرانْ وِديانْ تحْمل بَديدَة

الله ينْصرْكْ ع الكُفارْ والله يْزيدْ الهِيبةَ

ونَاسْ لَعْدا لمَا يحَبُوكْ تَمنيتْ للْهمْ مُصيبَة

[1] علي بولنوار الشعر الشبي الجزائري، ص155.

في القَايلةَ والقْوايْلْ وتثُور فِيهَم طَرِيقهْ[1].

هنا الشاعر يصف لنا حالة مأساوية للشعب الجزائري الذي حاول مقاومة الإحتلال وتعرضه للقتل فوصفه بالغدران والوديان للدلالة على الكم الهائل الذين تعرضوا للقتل، ويدعوا أن تنصرهم الله على الكفار وزيادة هيبتهم متمنيا أن يثوروا عليهم.

يتضح أيضا توظيف الوصف عند "عبد الرزاق شوشاني" حضورا ومعبرا عن حياة البدو وأهلها يقول:

تَفكرتْ نَجمَع الرِيفْ يتبَن أوْكارهْ وَربيعُنا ونُوارِه شِوارُ الحَليبْ أَدح في الحَاره

تَفكرتْهُم عَرِيَانْ صَحراوِيةَ من الوَاد يَسرقْ الحَدودْ

نَاس يَنتمُوا للرِيف والبَدويّةْ رْجالْ الشَهامَة والكَرَمْ والجُودْ

وَفي أَرضْ الصَحارِي خِيامُهُمْ مَبنِيةَ دَخالَ وكَربْ ورَمل سَبنْ عَزودْ[2].

يذكر الشاعر ما مدى أخلاق ونزاهة أهل البادية وشهامتهم وما يتمتعون به من جود وكرم.

وفي موضع آخر نجد الشاعر "عبد القادر العطوي" يصف لنا حياة البادية يقول الشاعر:

مَا حلاَها قَعداتْ البِيتْ الحَمراءْ ذِيك القَعدةَ نْزِيدْ للخَاطرْ تَنزاهْ

فَلجَة مرَقومِينْ رَقبةْ من ظَهرهْ والكَانُونْ رْوَاق مَنْ قبله غَطاهْ

[1] العربي دحو، معجم شعراء الشعر الشعبي من القرن 16 إلى أواخر العقد الأول من القرن 21 دار الألمعة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2011، ص428.

[2] بن حمده محمد الصالح، جماليات الخطاب الشعري الشعبي الجزائري في ضوء المنهج الأسلوبي، أطروحة دكتوراه الطور الثالث في اللغة والأدب العربي، جامعة غرداية، الجزائر، 2020-2021، ص71.

وطَرايْقْ فُوق لَعمدْ زِينةْ نَظرةَ نَوريلَكْ لفَليجْ كيفَاهْن اقلعنَاه

من النَعجةَ صُوف والمَعَزَة شّعْرَة تَنْحَزَم لخُودَاتْ لشَغْلِهَا تَهَّوْاه[1]

يصف "عبد القادر العطوي" حياة البادية ويقول بأنها حياة بسيطة جميلة وأنها أجمل الأماكن التي يجتمع فيها الأهل والأقارب كما يتحدث عن تجربته في قلع الفليج وكذلك انتزاع صوف النعجة.

ليضيف "العطوي" في أبياته القادمة متحدثا فيها عن مدى شهامة ورجولة أهل البدو وما تحمله خصالهم من كرامة وبطولة يقول:

أَهْلْ البَادْيَةْ أَهْلَ غِيرِة وازْنَادْ مَافِيَهَمْ غَرَة بَا سّعْدْ الْي دَارْهُمْ في الجَارْ حْدَاه

كَرامَة وأبْطَالْ وأمَالي كَسْرَة يا ضَيفْهُمْ ذَا بيتْكُمْ وَأَنَت مُولَاه[2].

في هذه الأبيات نلاحظ وصف "العطوي" لأهل البادية واصفا إياهم بأنهم أهل غيرة وشجاعة وبطولة، ويضيف بأن جارهم محظوظ فيهم ويتحدث أيضا عن كرم الضيافة فهم ناس مضيافين.

كما نجد الشاعر "البشير قذيفة" يصور لنا في إحدى قصائده مدى جمال وروعة مدينة بوسعادة وشوقه إليها وتعلقه بها فيقول:

يا الله يَا شِيفُورْ قُتْلُو تْمَهَلْ بْنْ سْرُورْ يَامَا عَدِينَا فِيهَا قَعْدَاتْ

ولحَقْتْ لَوْ لتَامْ قَلْبْ رَاهْ رْحَلْ بانْتْلِي مْعَ الطْرِيقْ أْنوَارْ زْهَاتْ

[1] حياة بوخلط: صورة المرأة في الشعر الشعبي الجزائري، شعر البشير قيذفة نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، أدب شعبي جزائري، اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات الأجنبية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2009-2010، ص31.

[2] المرجع نفسه، ص31.

الرمّانَة مَاذَا اسْهَرْنَا فِيكْ قَبَلْ طَلِينَا عَنْ بُوسْعادَة ياسَادَاتْ

اخْفَقْ قَلْبِي كي نْظَرْ لِيْهَا وَعْقَلْ مثْل الدْرَة بِينْ جَبْلِينْ تْلَالَاتْ[1].

عبر الشاعر عن مدى فرحة عندما ذهب إلى بوسعادة في المرة الأخيرة فيصف بلدته بالجبال ويوضح لنا ماذا يوجد بها كالرمانة التي كانوا يجلسون تحتها خلال الليل فقلبه يطير فرحا عند تذكره لبلدته.

كما أننا نذكر الشاعر "عبد الرزاق شوشاني" واصفا حياة الأرياف وكرم وسخاء أهلها يقول:

وَمِيْن كَانْ الرِيفْ عَنْ تِيَارَهْ وأبْطَالْهُمْ نغَارَه في بْلادْهُمْ مَا يَرْضُوا بَخْسَارَة[2].

الشاعر في هذا البيت يصف الشاعر ما مدى بطولة وشجاعة أهل الريف فيذكر بأن أصحابه الريف أسياد بلادهم.

2- خصائص الشعر الشعبي الجزائري:

يتمتع الشعر الشعبي الجزائري بمجموعة من الخصائص التي تضبطه وتميزه عن بقية الفنون الأخرى، حيث نجد في القصائد الشعبية نوع من "التقليد"، الذي يعرف بأصحاب القصائد نجد أن الشعراء الشعبيون يعبرون عن قضية ما مثلا عن الثورة "فيقومون بوصفها وشرحها ونقلاها للمداشر فيرددها كبارهم وصغارهم، رجالا ونساءا ترديدا جماعيا فيسلبها ذلك صفة الجماعية، ويجعلها محفوظة في الذاكرة الشعبية دون هوية أو انتماء"[3]، أي أن الشاعر الشعبي يقوم بشرح ما يلاحظه في بيئة ويقوم بالتعبير عنه للشعب، مما جعل الكثير من شعراء الملحون

[1] حياة بوخلط: صورة المرأة في الشعر الشعبي الجزائري، شعر البشير قيذفة نموذجا ، ص41.

[2] بن حمده محمد الصالح: جماليات الخطاب الشعري الجزائري في ضوء المنهج الأسلوبي [أطروحة ودكتوراه، أدب عربي قديم]، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الأدب واللغات الأجنبية، جامعة غرداية، الجزائر، 2020-2021، ص71.

[3] لخضر بوصيف، الصورة في الشعر الشعبي الجزائري في ضوء الدراسات النقدية الحديثة، إشراف أحمد الأمين، 2009-2010، ص49.

"حريصين على أشعارهم من الضياع يستدركون القضية فيما بعد، ويوقعون في خواتم قصائدهم يذكر أسماءهم كما هو الشأن عند عبد الرحمان قاسم يختم قصيدته (وحش الأحباب) فيقول:

الشَاعَرْ مَنْ بَشْنوفْهَا بَخْلِيفْ يَعْدَمْ عَبْدْ الرَحْمَانْ البَسْكْرِي وْذَا سْمَايَا

كما أننا نجد أيضا من الخصائص الشعر الشعبي الجزائري أنه يحتوي على "وحدات استهلاكية" كالحمد و"التسبيح" و"التوسل" ونجد هذه عند قصيدة الشاعر "عبد الرحمان قاسم" قد استهل قصيدته بأسلوب أسنان المتوسل إلى جبال (الأطلس الصحراوي) وهو يعبر عن روح الإنسان العربي حيث يقول:

ألا أَيُهَا اللّيلْ الطْوِيلْ أَلَا أَنْجَل بصِيكْ والصْبَاحْ مَنْجَلْ يا مَثْلْ

والشعر الشعبي كما رأينا سابقا فهو يعتمد بالدرجة الأولى على "اللغة العامية البسيطة" إذ أن معالجتنا لقضية ما "يجب أن يكون الشعر الشعبي فيها ينتمي لأي مجتمع بذاته وعلى إيقاعه المحلين كما يصور هذا الشعر أيضا ما يجمع أفراده من تجانس ثقافي واجتماعي تعكسه جملة الصور الصوتية والمفردات والأساليب وطرق التصوير"[1].

ومن خصائص الشعر الشعبي أيضا أنه يعتمد على "الغناء" الذي يصحب بالعزف والضرب على الآلات الموسيقية، يؤديه الشاعر نفسه بالتعاون أحيانا مع الجماعة، مراعاة له خاصة في الأوزان والقوافي، وما يدل على ذلك أنه يطلق عادة اسم الغناء على نظم القصيدة وينعت الشاعر بالغناي"[2].

يعبر هذا الأخير على أن الغناء جزء لا يتجزأ من الشعر الشعبي الجزائري، حيث وظف العزف والآلات الموسيقية في شعره واهتمامه بالقوافي والوزان عنصر هام في نظم القصيدة ومعالجتها.

[1] لخضر بوصيف، الصورة في الشعر الشعبي الجزائري في ضوء الدراسات النقدية الحديثة ، ص34.

[2] عبد الحميد بن هدوقة: المورث الشعبي في روايات: صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة عامة 2008: دار السبيل، ص121.

– **التوقيع**: ويتضح أن هذه السيمة ظهرت عند الشعراء الشعبيين حيث يذكر الشاعر اسمه ولقبه أو كنيته وعلى قصائده لنفسه لحمايتها من أي سرقة أو نسبها لغير مؤلفها، فنجد في بعض القصائد يذكر الاسم فقط أو اللقب فقط أو ذكرهما معا فالتوقيع بالاسم يجده في قصيدة مفتاح الخير لا ينفد للشاعر "لخضر بن لخوف" حيث يقول:

خَايَفْ إلَا يَتْمَرْمَدْ وِنْجِيبْ فَوْقْ تْمَرْمِيدَا

مَن صَابْ لخْضَرْ يتغدْ في ثُوبْ رَحمَتَهْ ومَوجودة

يا سِيد الأَمةْ مُحمدْ صلِي اله عْلِيكْ لِبدا[1].

أما التوقيع بذكر اللقب: ومثاله قول الشاعر "محمد بلخير" في قصيدته "يا لمدني"

ما يْشوفْ الَمداحْ نَحدابْ لَيسَ نَاكرْ ولا مْنكورْ

يا حْبيبْ الله المُخْتارء وَلدْ بلخِير بْغَى التَحْرِيرْ[2].

ومن خصائصه أيضا:

– « التداول الشفوي والتوارث جيلا عن جيل وحديثا أصبح بدون.

– لغته هي اللهجة الشعبية المشتركة التي يفهمها جميع أفراد الشعب أو الجماعة الشعبية أو اللغة الدارجة أو اللهجة العامية التي ترتبط بفئة أو جماعة شعبية بعينها.

– الرواية الشفوية التي عادة ما يتكفل بها سلسلة طويلة من الرواة الشعبيين والمداحين.

[1] جمعية آفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلوف حياته وقصائده، ج2، منشورات الألفية الثالثة، ط1، 2010، الجزائر، ص150.

[2] العربي بن عاشور أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، دار الشروق للطباعة والتوزيع، د.ط، 2008، الجزائر، ص112.

– من حيث الأسلوب يتميز ببساطة الألفاظ والعبارات ووضوح المعاني وحسن التشبيه وجودة الكناية وجمال التعبير وغلبة الصور البيانية (التشبيه، الكنابة، الاستعارة)، والمحسنات البديعية (السجع، الجناس، الطباق، التورية...).

– النزوع إلى زخرفة القول وتنميقه.

– الطابع الاجتماعي: يولد الشعر الشعبي من رحم الواقع الشعبي النفسي أو الاجتماعي أو الفكري...»[1].

3– رثاء المدن في الشعر الجزائري الفصيح:

تعددت الأغراض الشعرية عند الشعراء الجزائريين في أشعارهم من وصف وهجاء ورثاء، وهذا الأخير ظهر في العديد من القصائد الشعرية الذي تناول فيها الشعراء الرثاء لتعبير عن الأوضاع التي جرت في فترة معينة وأدت إلى انقلاب القوة إلى ضعف وقد جسد فيها الشاعر مظاهر التخريب في مختلف المدن ونذكر من بينها:

أ– رثاء مدينة "تاهرت":

رثاها بعد تخريبها حيث عبر عنها شاعر تاهرتي مجهول الإسم يقول:

"خلِيلِي عُوجَا بالرُسُوم وسَلمَا على طلَل أقوَى وأصْبَح أغْبَرَا

المَا علضى رسم بَتاهرت داتر عفته الفوَادي الرَائحَات فأقفَرا

كأن لم تَنْكن تَاهرتْ دار المَعشر فدَمرهَا المَقدور فِيمَن تدمَرَا"[2].

[1] ينظر: أمينة فيزازي: مناهج دراسات الأدب الشعبي، دار الكتاب الحديث، الجزائر، د.ط، 1431هـ-2010م، ص135

[2] محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان، الأدب العربي الجزائري عبر النصوص: إرشادات الحائر إلى آثار الأدباء الجزائر، المجلد الأول، الجزء الأول، العصر القديم، ج2، العصر الذهبي، ط1، سنة 1422هـ-2001م، طبع وإشهار، داود بريكسي في الكيفان رقم 53، تلمسان، ص35.

تحدث الشاعر في هذه الأبيات عن تاهرت وحزنه الشديد على الخراب الذي تعرضت له باعتبار أنها كانت ذات رمز قيم للجزائر ثم تدمر.

ب– رثاء مدينة "تلمسان": كما يقف الشاعر الشعبي "محمد الهادي السنونسي" على أطلال مدينة تلمسان يقول:

"هَذي لْعمرك يا خلَى (تلمسان) فَليهْنأ القلْب ولَتبرحهُ أشْجان

تلكَ التي أَشْبعَ الرَاوي رَوايته منْها وتَاريخها تاجْ وعرْفان

تلْك التِي لمْ تزلْ تَاريخهَا مثلا شيدَتْ به لصْرُوح الغزو والأركان

تلْك المدِينة كمْ دان الرمان لها والمَالكُون بسَاط الأَرض كَمْ دَانُوا

كَأنْها وهِي تَحْتْ الأَسْر هَامدة دين الله قَد غَطَاه كفران"[1].

في هذه الأبيات يقف الشاعر ويبكي الطلل على مدينة تلمسان، وهو حزين لما حدث لها، حيث انقلب الزمان عليها بعدما كانت رمزا للقوة يشهدها التاريخ فأصبحت بعد ذلك ضعيفة يتأسف الشاعر لحالها.

ج– رثاء مدينة "الجزائر": كما تعد مرثية محمد بن الشاهر "لمدينة الجزائر" من أشهر القصائد حيث كتبها وهو يخاطب أسوار مدينة الحصية التي سقطت:

"أَمَنْ صولة الأَعْدَاء سور الجزائر سَرىْ فيْك رعب أم ركْبت إلى الأَثَر

لبسَت سوَاد الحُزْنْ بَعِد المْسَرة وعصت بوَادِيك الفتون بلَا حصر

[1] إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي – الجزائر نموذجا– (1925–1962)، ط2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، حي لابروياز، بوزريعة، الجزائر، ص186.

رَفْضتَ بياض الحَق يَومَا فأصبحـ ت نوَاحِيك تَشكو بالأَماني إلى الجور"[1].

جسد الشاعر في هذه الأبيات أسوار مدينة الجزائر حيث عبر من خلالها عن الرعب والحزن الذي ساد المدينة وانعدام الأمن والأمان فيها فأصبحت تشكي آلامها إلى جيرانها.

د- رثاء مدينة "وهران":

يقو الشاعر "أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن" يندُبُ مدينة وهران ويصف ما حل بها من طرف الغزاة الإسبان:

"... قد طالما عبثت بها أيادي العدا حتى استباحوا أرضها وحماها

أضحى الصاليب مؤيدا والدين قد دست معالمه فلست تراها

جعلوا بها الناقوس في أوقاتهم بدر الآذان وغيرها معناها"[2].

في هذه الأبيات وضح الشاعر حالة وهران وما حدث لها من تدنيس للمساجد وانتشار الحرام فيها وتغير دينها، حيث كانت من قبل مدينة شريفة دينها الإسلام وأرض للعبادة.

هـ- رثاء مدينة "عنابة":

عبر "أحمد البوني" عن رثاءه وبكاءه لمدينة عنابة جزء ما حدث لها فوقف على هذه الأبيات وقفة الرجل الغيور المحب لوطنه يقول فيها:

[1] إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي ، ص199.

[2] عبد القادر شريط: فن رثاء المدن في الشعر المغربي القديم من الفتح العربي الإسلامي إلى العهد العثماني (أطروحة دكتوراه، الأدب المغربي القديم)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013-2014، ص124-125.

يا حاكم الجزائر يا أنس نفس الزائر

أريد أن اخبركم أدام ربي نصركم

بحال هذه القرية بالصدق لا بالغربة

ذقد صال فيها الظا لم وهان فيها العا لم

خربت المساجد وقل فيها الساجد

والشرع فيها باطل والظلم فيها ماطل[1]

في هذه الأبيات يتمنى الشاعر "أحمد البوني" النصر لمدينة عنابة التي طغى فيها الظلم والفساد وأحلوا الحرام وحرموا الحلال واستبدلوا الحق بالباطل.

4- رثاء المدن في الشعر الشعبي:

يعد الرثاء غرضا من أغراض الشعر الفصيح عامة والشعبي خاصة، حيث اتخذ الشعراء الشعبيون المدن موضوعا لأشعارهم التي صورت الأوضاع التي آلت إليها المدن الجزائرية بعد الاستعمار فراحوا يسجلون مأساتها ويبكونها.

أ- رثاء مدينة الجزائر: وكان أول شاعر شعبي بكى مدينة عاصمة الجزائر لما سقطت بأيائي المختلين هو "عبد القادر الوهراني" في مرثيته بدخول الفرانصيص حيث رثى فيها مدينة "مزغنة" والتي كانت ترهبها الأجناس وتخشى برأسها الأمم يقول:

[1] عبد القادر شريط، فن رثاء المدن في الشعر المغربي القديم من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني، ص129.

"الأيام يا خواني تبدلت ساعتها والدهر ينقلب ويولي في الحين

بعد كان سنجان البنهجة ووجاتها الأجناس تخاف في البر والبحرين

امنين راد ربي ووفقى ميجالها وأعطاوها أهل الله الصالحين

الفرانصيص حركلها وآحذاها لا هي مياه مركب لا هي ميتين

بسفانيه يفرص البحر قبالها كي حا من البحر بحنود قوسين

غاب الحساب وأدرك وتلف حسابها الروم جوا للبهجة مشتدين

راني على الجزائر يا ناس حزين"[1].

في هذه الأبيات يصور لنا الشاعر الحزن والحالة التي آلت إليها هذه المدينة الجزائرية بعدما كانت ذات مكانة وهبة بين الأمم وذلك بعد دخول الفرنسيين لها.

كما نجد أن الشاعر تجتاحه نبرة الحسرة والأسى والتأسف لما آلت إليه الجزائر من الدمار الذي خلفه الاحتلال في مختلف مدنها وعواصمها حيث يتضح في الأبيات الآتية:

"يا حسراه وين دار السلطان وناسها صدوا وجاو ليها أوجوه ارخرين

حسراه وين بايات مع قيادها يا من درى على ذوك القصباحين

حسراه على السراية وعلى حكامها وعلى مواضع الحكم المعزوزين

[1] عطية رغيسة: "احتلال الجزائرية مرثية عبد القادر الوهراني الشعبي، مجلة المدونة، العدد الثاني، الجزائر، جامعة البليدة، ربيع الثاني 1436هـ، الموافق لجانفي 2015م، ص154.

حسراه على الجوامع وعلى خطابها ومنابر الرخام اللي مرفوعين"[1].

يتحسر الشاعر على هذه الأماكن من دار السلطان والجوامع وبعض الأماكن الأخرى التي كانت ملك للجزائريين وأصبحت تطؤها أرجل المحتلين اليهوديين وتدنيسها وتخريبها.

ب- رثاء مدينة تيهرت: وهناك شاعر آخر بكى مدينة المنهارة وهذه النكبة أيقضت للشاعر مشاعر الحزن والأسى ليه فعبر عنها بحسرة جراء الدمار والخراب الذي أصابها يقول "بكر بن حمامد" يرثي مدينة تيهرت بعد تخريبها:

"زرنا منازل قوم لم يزورونا إنا لفي غفلة عما يقاسونا

لو ينطلقون لقالوا: الزادو بحكم حل الرحيل فما يرجو المقيمون؟"

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن الأشخاص الذين بنوا الأبراج والقصور وما أضافوا عليها من زخرفات وتطريز إلا أنهم لم يستمتعوا بها ذلك لأن عقبات الدهر كانت أو لم تترك لهم المجال من أجل الاستمتاع بها وبزخرفتها.

كما نجد الشاعر بكر بن حماد قد وظف الرثاء في شعره مستمدا معانيه من القرآن الكريم والسنة النبوية فارتبط ارتباطا وثيقا بالزهر يقول:

قف بالقبور فناد الهامدين با من أعظم بليت فيها وأجساد

قوم تقطعت الأسباب بيهم من الوصال وصاروا تحت طواد

أين البقاء وهذا الموت يطلبنا هيهات هيهات يا بكر بن حماد[2].

[1] عطية رغيسة: "احتلال الجزائرية مرثية عبد القادر الوهراني الشعبي"، ص157.

[2] عبد القادر شريط: فن رثاء المدن في الشعر المغربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري، (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب المغربي القديم) جامعة باتنة، الجزائر، 2005-2006م، ص50-53.

فبكر بن حماد يخبرنا بأن لو أن أحد ما وقف على القبور ونادى أصحابها فلن يجد أو يتلقى أي استجابة من أحد لأنه لم يعد هنالك أي صلة بينهما أو بين هذين العالمين، كذلك يخبرنا عن كيفية البقاء والموت محيط بناء من كل الجهات.

كما أننا نجد شاعر آخر أقدم على توظيف بعض الأبيات في شعره في رثاء "مدينة تيهرت" مجهولة القائل يتطرق من خلالها إلى النكبة التي أصابتها يقول:

سقى الله تيهرت المنا وسويقة بساختها غيثا يطيب به المحل

كأن لم يكن والدار جامعة لنا ولم يجتمع وصل لنا ولا شمل

يبكي الشاعر على الحالة التي آلت إليها "تيهرت" بعد أن كانت الدار التي تلم الشمل أو تجمع شمل العائلات فيتحسر عليها لأنه من المستحيل أن يعود بها الحال كما كانت عليه من قبل.

ج– رثاء مدينة بجاية: نجد في هذا الجانب "أبو عبد الله محمد بن حماد" الشاعر والعالم الذي نبغت قصائده في وصف عمران الحماديين بمدينة بجاية والتعبير عن قصورهم ورسومهم فهو يعبر عنها بكل فخر واعتزاز كما رثا الشاعر "قلعة بني حماد" بعدما قضى عليها الموحدون يقول:

أين العروسان، لا رسم ولا طلل؟ فانظر ترى ليس إلا السهل والجبل

وقص "بلارة" أودى الزمان به فأين ما شاده السادة الأولى؟[1].

[1] عبد القادر شريط: فن رثاء المدن في الشعر المغربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، ص83.

يقف الشاعر وقفة متحسر على ما أصاب هذه البلدة وما الذي حل بتراث أجداده متسائلا عن هذا الصمت المرعب الذي يحيط بالمكان وعن الرسوم والنقوش أين اختفت فينظر من جهة أخرى لا يجد سوى السهل والجبل ويشعر بالألم حول قصر بلارة على فقدانه مكانته المرموقة الأولى.

ثم يلتفت مرة أخرى إلى "قصر الخليفة" الذي فعل الدهر فيه فعلته ليقول:

قصر الخلافة أين القصر من حرب غير اللجين وفي أرجاءها زحل

وليس يبهجني شيء أسر به من بعد أن تجت بالمنهج السبيل

وقد عفا قصر حماد فليس له رسم ولا أثر ولا به طلل

الشاعر متأثر بما أصاب آثار قومه لا يزال متعلقا بالماضي يريد استرجاع ما ضاع من قومه وبالتحديد قصر الخلافة كونه الرمز والمعلم الرئيسي لحماديين أو لأجداده.

ليستمر الشاعر في قذف مشاعره الجياشة في ذكره للماضي الزاهر، يبكي فيه عن الأطلال يقول:

ومجلس القوم قد ذهب الزمان به يحادث قل فيه الحادث الجلل

وإن في القصر – قصر الملـ معتبرا لمن تعزره الأيام والدول

فما رسوم المنار الآن مائلة لكنها نبد بالمثل

حتى المصلى لبّت آياته وعفت إلا جدار أو ما ظلت به الطلل[1].

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن وجوب أخذ العبرة من الذي حدث للقصر وأن كل شيء فان فلا تغرنك الأيام ويشير في موضع آخر إلى المنارة وكيف أصبحت لكنها تظل مثال ورمز لما حدث في هذه البلاد.

[1] عبد القادر شريط: فن رثاء المدن في الشعر المغربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، ص84.

د- رثاء الأبناء للآباء: ليس وليد الصدفة أن ينظم الشعراء أشعارهم يرثوا بها آبائهم بل هي نتيجة مشاعر صادقة وحرقة في قلوبهم على فراقهم وتأثرهم الشديد بهذا الفراق وشوقهم إليهم وآهاتهم ومن هؤلاء الشعراء الذين رثوا آباءهم نجد "الشاعر عبد الغفار" التي فاضت أشعاره شوقا وألما وحنينا إلى أبيه فكتب قصيدة عنوانها "وفاة الوالد في غياب الولد".

"كما هو واضح من عنوانها فالقصيدة تفتح مساحات كبيرة للحزن العميق الذي لا يمكن أن نحسه ونعيشه كما يحسه الشاعر".

ويعد الخبر الذي نزل عليه كالصاعقة لوفات أبيه قال في قصيدته:

كُنْتْ مسَافَرْ بعدْ غِيبَةْ أَنَا وَلِيتْ وامْعَولْ بَابَا انْشوفُو بَعْيَانِي

أمَعْ البَابْ أَحْبَابْ قَلبِي هانِيْ جِيتْ سَكْتُو جَمْلَة حَدْ مَا يَا يْلَقانِيْ

مَا هُوَ عَهْدِيْ هَكْذَا نَدْخَلْ للبيْتْ بَابَا ضَارِي هُوَ يَتلاقانِيْ

وَالعَهْدْ اللِي فاتْ نَدخَل بَتْزقريتْ الشَامَذْ بوحَة أوْ تحْضَرْ جِيرَانِيْ

امعَ اللحْقَة خاوِتِي عْنُو سَقْسِيتْ قَالُوْا سَامَع غِيْر فِيْنَا بَلْعَانِيْ

قُلْتْ مْسَافِرْ هَكْذَا فالقَلْبْ نْوِيتْ يفْرَحْ بِي كِيعُودْ أو يَلْقَانِيْ

حِينْ أنْدَقْ البَابْ بالعَجْلَة فَزِيتْ والشَطْنتْ أعْلِيهْ لَهْبْتْ نِيرَانِيْ"[1].

ويقول أيضا:

« اَذا سَافَرْ جَابلِي قَا وَاشْ حَبيتْ تْوَاحَشْنِي مَا يْطِيقْشْ يَنْسَانِيْ

[1] علي بولنوار، الشعر الشعبي الجزائري، منطقة بوسعادة، ص34.

نَتْفَكَرْ كُلْ مَا ضْرَبْ فِيهْ مْشِيتْ ذَا الساحَاتْ اجْمِيعْ فِيهَا مْشَانِي

إنها ذكريات صاغها الشاعر في أبيات تقطر حزنا وألما حاول فيها أن يرسم صورة حية عن الفقيد مبينا العلاقة بينهما »[1].

هذه الأبيات تحمل نبرة الحزن والأسى ومواجع قلب الشاعر على فقده لسنده في هذه الحياة أبيات نظمها من شدة ألم البعد والفراق رثى أباه فيها متذكرا أيامه الخوالي معه وضح فيه خلجات النفس واشتياقه وحنينه لتلك الأيام.

هـ- رثاء الآباء للأبناء: في هذا النوع من الرثاء راح الشعراء يعبرون عن صدق المشاعر والعواطف والآلام العميقة في النفس، ومن الشعراء الذين ظهر عندهم هذا النوع نجد الشاعر "ابن النوي عبد القادر" الذي نظر قصيدة يرثي فيه ابنته التي خطفها الموت منه حيث" يقول:

مَوْتَكْ يا رِيحَانْتِي هُولْ اشَيبْ فَجْعَتْهَا صَهْدَا وضْرْبَا خلَخَالَاْ

لْسَعْ يَا نَجَاةْ بَدْقَايَقْ نَحْسَبْ غَدْوَا ابَنْتِي جَايَا قَدْ اغْزَالَا"[2].

الشاعر في هذه الأبيات تحدث عن موت ابنته ويظهر جليا حبه لها في قوله "ريحانتي" وهو مصدوم من خبر موتها بعد الدقائق وهو ف انتظار عودتها.

ويقول:

[1] علي بولنوار، الشعر الشعبي الجزائري، ص41.

[2] نفس المرجع، ص45.

"مرْ حُوْلَكْ يا غَالِيَا وَعْلَاشْ اغْصَبْ قَبْلْ ادْقَائِقْ فِيهْ كُنْتِ وصَهْلَاْ

خَلِيتْي لَعْرِيسْ في حَالْ امْشغبْ نارُو تسني ولمَدَامَعْ سِيالاْ

ومُّو وبيُّو أوخُوتِي شِي اعْجبْ وَرْجَالْ أو نْسْوَوانْ عَنْكْ سْوَالاْ

وَينْا ادْمُوعْ يَطفِي هذَا الْعْبْ وِينَا سْيلْ امْطُورْ تَنْزَلْ هوْطَالَاْ"[1].

في هذه الأبيات يتضح بكاء وحزن الشاعر على فقيدته التي يظهر من خلال كلماته أنها في سن الزهور وانه كان ينتظر أن يفرح بزواجها ولكن الأقدار شاءت أن ترحل عنه ويأخذها الموت بعيدا تاركة وراءها ألم في قلوب أحبتها وبكاءا فهذا ما وضحه الشاعر في البيت الأخير من عبارات دالة عليه فهو يتساءل عن أي من البحور يمكن أن يطفئ نار الشوق والألم والحزن في صدره.

يقول أيضا:

"غِبْتِي كَاللِيْ مْاشِيْتية في مَضْرَبْ مَا جويبتْي فْي اشْراشْفْ تَتْعَالاْ

كَاللِيْ مَا كُنْتِي امْعَايَا فِيْ مَوْكِبْ مَا سقسَاتْ طَيُورْ عَنَكْ لو عَالَاْ

خَلْيتْها واحَشْه فَقْرَا تَرْعَبْ لابنهْ في شُوْفْ لَا فِيْ تجوالَاْ

البَعْنَا والمُوْتْ حَرشَة مَا تلعَبْ خذَاعَة يا مَانْ تمشَيْ خْتالَاْ

إذِا حَضْرَتْ مَا تْهَابْ أولاْ تَصْحبْ مَا تنْفعْ في الْمُوتْ حِيْلَة تْتحَالاْ

مَا يَنْفَعْ لاَ رَايْ لا طَلَابَه لا طَبْ لانعرية لَاْكْنُوزْ المْوالاْ"[1].

[1] علي بولنوار، الشعر الشعبي الجزائري، ص69.

المتؤمل في هذه الأبيات الشعرية يلاحظ أن الشاعر قد صور واقعه بألفاظ تدل على الحزن والأسى لغياب الابنة.

ونجد شاعر آخر يعبر عن ألمه وحزنه جراء فقدان فلذة كبده وهما اثنين من أبناءه يقول علي عناد وهو يرثي والده:

اثنِينْ شَدُوْا كَبْدتِي صَحْنُوهَا واثْنِينْ زَادُوا وكَمْلُوْا حرْقُوْهَا

حرْقَتْ وَوَلَّتْ غبرهْ مَا مرَّ مُرْ الصَبرْ وَاعَرْ صبرْه

زعْمَاشْ مَنْبعدْ الحرِيقَة تبْرهْ ثَمَاشْ طَبٌّ إلكبدتِي دْاووَهَا

القَلْبْ بِينْ المْطَرْقَةْ والزبْرةْ رفَ اترْ ضذ كبيدتهْ هَزوهَا

اثنِينْ عَنِي صَدُّوا سبقْ بِيهَمْ قَبْلِي مِسّوا تعدّوا.[2]

يعبر الشاعر هنا عن مدى شعوره بالألم بعد فقدان والديه حيث يخبرنا بأن كبده احترق لخسارة ابنيه فيعبر أو يقول بأنه لم يستطع أن يتجاوز هذه الفاجعة رغم تحليه بالصبر فالنار التي بداخله لا يمكن أن تخمد أو لا توجد قوة أو طب في العالم يستطيع معالجة هذه الجروح.

[1] علي بولنوار، الشعر الشعبي الجزائر، ص98.

[2] بن علي محمد الصالح: من روائع الشاعر الشعبي علي عناد، مراجعة عبد الحميد عناد، إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط1، 2008، ص 121.

الفصل الثاني:

رثاء المدن عند ابن مسايب

أولا– نبذة عن حياة بن مسايب

– أعماله وخصائص شعره

ثانيا: الرثاء في قصيدة محمد بن مسايب

أولا– نبذة عن حياة بن مسايب:

"هو "أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مسايب" انحدر من أصل أندلسي بحيث أقام في فاس ثم انتقل إلى الجزائر ليستقر نهائيا في تلمسان العاصمة الجزائرية العربية الإسلامية الحضارية العهود المتوالية.

اشتغل في صباه بمهنة النسيج وأحب فتاة اسمها "عائشة" فخلد اسمها في قصائده ذاع بها صيته وبعد أدائه الحج قال قصيدة طويلة ضمنت توبته، تعلق بمدينة تلمسان وقال فيها شعرا"[1].

"أبو عبد الله محمد بن مسايب"، اسم تردد على أكثر من لسان، وأسال حبر أكثر من قلم، واطرب رؤوس كثيرين من عشاق الأغنية الشعبية عشاق الحوزي والملحون، ظهر بجدارة كأحد أبرز شعراء الغناء الشعبي في منطقة المغرب العربي في القرن الثاني عشر الهجري وحتى الآن.

لم نعثر على دلائل صريحة واضحة كافية عن حياة الشاعر "ابن مسايب" عن مولده ودقائق وظروف حياته الاجتماعية، التي كان لها اثر في صنعه كشاعر شعبي في هذا المستوى، ولا عن الظروف الأخرى التي أثرت في شخصيته وثقافته، وذلك لقلة ما دون عنه شأنه شأن اقرأنه من شعراء الأدب الشعبي، وجل ما وصلنا عنهم كان تناقلا شفاهيا، عرف أخيرا في منتصف هذا القرن بعضا من الجمع والتدوين أمثال "محمد بخوشة" جمع ونشر بعض من منظومات الشاعر على شكل ديوان شعري أتى به بقليل من كثير مما رواه الشاعر "ابن مسايب" نظما حيث يذكر "أبو علي الغوثي" أن الشاعر نظم أكثر من ثلاثة آلاف منظومة، حيث قال أن منظومة بلغت ما ينيف على ثلاثة آلاف[2].

"هذا الشاعر وقف حياته من أجل الفن الشعبي، من أجل مجتمعه بأفراحه وأتراحه، من أجل الحياة.

[1] العربي دحو، معجم شعراء الشعر الشعبي في الجزائر من القرن 16 إلى أواخر العقد الأول من القرن 21، د.ط. د ت، ص501.

[2] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص25.

ولا نبالغ إذا قلنا بأن الفنان الشعبي يقف حياته من أجل سواه فالفن ترياق الحياة، رغم أن الشاعر يموت ويبقى، يموت جسما وجسدا ويبقى ذكره خالدا أبدا، شمعة مضيئة، يستضيء بنورها من يشاء وهي لمن يشاء"[1].

"ابن مسايب" خالف كل الأعراف ولم يهلك بل أن هذه المخالفة نفسها هي التي ساعدت على شهرته وعملت على تحليل شخصية الفذّة فساعدته جسارته على تكوين نفسه بنفسه، وتعلم في مدرسة الحياة أكثر مما تعلم على مقاعد المدارس أو حصير الكتاتيب.

وشعره أول وأهم شاهد على المستوى الذي بلغه والقسم الوافر من المعرفة الذي ناله.

ويبقى فضله أنه في جميع الأحوال لم يبعد عن الطبقات الشعبية التي عرفها عن قرب واستمر في التعبير باللسان القريب المتداول لديها ولأنه بقي صادقا متساويا مع نفسه، فلم يقصر شعره على (العوام) بل تعددت أهميته ليقتحم أوساط الخواص الذين ميزوا أنفسهم عن هذه العمومية البسيطة.

واستمرت هذه الشخصية فارضة نفسها بل عبرت قرونا لتصلنا حية عبر نصوص وعبارات خالدة، جعلت هذه الشخصية « شاعر الحب والوطن الخالص » كما يحلو للبعض أن يسميه[2].

بدأت أخباره تتصح بوادرها القريحة الشعرية ظهرت مع مبادرة لصناعة الزرابي والحياكة فاجتمعت لديه الصناعتين « نسيج الزرابي ونسج الكلام ».

ولم يخرج شاعرنا عن قاعدة ممتلكي تراثنا الشعبي من حيث امتلاك الشاعر منهم موهبة التأليف والتلحين إلى جانب الغناء وهي ميزة تلقى جذورها في أعماق الحضارة العربية كما يؤكده صاحب الأغاني بين الشعر والموسيقى من أقدم العصور.

[1] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص37.

[2] ينظر ديوان ابن مسايب، أحمد أبو عبد الله فناوي أمقران أسماء سيفاوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، د.ت. ص8.

وقد اتفق أن يجتمع النظم والتلحين والغناء لدى الفرد الواحد وذلك ما اتصف به بعض شعراء العامية في الجزائر القرن "18/17م" ومن بينهم شاعرنا هذا الذي راد فوقه فنه ظرفا وملاحة وبساطة ضاعفت من إقبال الناس عليه ورج اسمه عبر الجزائر والمغرب الأقصى: البلدين الذين طافهما طولا وعرضا متعديا إلى تونس ثم المشرق الأوسط حيث ناداه الحج إلى بيت الله الحرام.

يموت جسد الشاعر "ابن مسايب" ويتوفاه الله بتلمسان المدينة التي ملكت قلبه وهواه، وكان ذلك قدر الله محتوم ويدفن حدو ضريح الموحد "الشيخ السنوسي" رحمه الله وقبره معروف يازار.

1- أعماله:

"ابن مسايب" الشاعر الشعبي الذي كرس حياته للشعر والفن وخدمة الشعب، نظم عدد هائل من القصائد فمنها ما دونت ومنها ما ضاعت ولم تصلنا ومن أهم أعماله:

- ديوان ابن مسايب، أبو عبد الله محمد بن أحمد إعداد وتقديم أسماء سيفاوي أمقران السحنون، المؤسسة الوطنية للكتاب.

- ديوان ابن مسايب، جمع وتحقيق محمد الحاج الغوثي بخوشة نشر ابن خلدون، تلمسان الجزائر، أكتوبر 2001.

- كما أنه كان يعمل مؤلفا وملحنا ومغنيا أيضا، كما مارس مهنة صناعة الزرابي والحياكة.

2- خصائص شعره:

لكل شاعر أسلوبه وطريقة نظمه للشعر، ولكل واحد منهم لديه خاصية وميزة تميز شعره عن أشعار غيره، فالشاعر الشعبي "ابن مسايب" هو الآخر تضمنت أشعاره خصائص وميزات نذكر منها:

2-1- التأريخ:

ونجد الشاعر ابن مسايب يؤرخ لقصائده أو بعض قصائده فقط وذلك قبل نهاية القصيدة وفي قصيدة "عيت وأنا ندمم" أرخ لها سنة أربعين بعد المئة وألف هجرية (1140هـ) وقال:

"نْظَمتْ هذه الحِلَّةْ بعد ميَّا وألفْ عامْ- يَا حْمامْ - أَوَّلْ الرَّبعينْ ظْهرْ خُبَّرها واشتهَرْ[1]

وفي قصيدة "لك نشكي" يقول:

بعد ألف وميا صار عام واحد وأربعين"[2].

وقد أرخ لها سنة واحد وأربعين بعد المئة وألف هجرية (1141هـ).

2-2- الرمز الصووفي، (الحب الإلهي، الشوق والحنين):

إن التجربة الصوفية لدى شعراء المتصوفة قد ولدت لهم نوع من المشاعر والأحاسيس الروحانية التي يتخطى بها اللغة العادية، حيث ولدوا قاموس لغوي خاص بهم وهذا ما نجده عند في شعر "ابن مسايب" حيث عاش تجربة الحب الإلهي وقد عبر عنها بأسلوبه حيث يقول: في قصيدة "لكْ نِشْكِي":

لَكْ نِشْكِيْ بأمرِيْ لأَنِّيْ – يَا الوِحْدَانِيْ- يا الله نِطْلْبَكْ تِعْفُو عْلَيَّا

لَا تْخَافِيْنِي عَمَّا فَاتْ فِي زْمَانِيْ لِيْكْ نِتْوَسَّلْ بأَحْمَدْ بُوارْقِّيَا

يا الله طْلَبْتَكْ تِعْفُوا عْلَيَّا

يَا الله أَنَا عَبْدَكْ وُالعَفُو مِنَّكْ نِرْجَاه

[1] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص 96.
[2] المصدر نفسه، ص33.

يَا لِنْبِي نتوسَّلْ لكْ وُالكْتَابْ ومَنْ يِقْرَاهْ

والسَمَواتْ وعَرْشْكْ والقْلَمْ واللُّوحْ مْعَهْ[1]

"فابن مسايب" في هذه الأبيات يطلب المولى عز وجل راجيا العفو منه ويتمنى أن يغفر له عن زلاته وعن أخطاءه التي ارتكبها في الماضي.

2-3- الرحلة:

تناول "ابن مسايب" موضوع الرحلة في أشعاره حيث أنه لما يقوم برحلة ما في هذه الرحلة يقوم بوصف الأماكن والأشياء التي تصادفه في طريقه أي أننا نجد في أبيات القصيدة جزء من حياة الشاعر وهذا ما نجده في شعر "ابن مسايب" حيث نجده في قصيدة "يا الورشان" يقوم بوصف شعوره وعن مدى اشتياقه إلى مكة وقد قام من قبل بزيارته لها فوصفها قائلا:

طُفْ يا طِيرِي سَبْعْ طْوَافْ بِالقْدَمْ وتْبَعْ الأشرَافْ

انْتبه يا كَامَل الأوْصافْ لِلحْجرْ واسْتْمْسَكْ بِها

قُمْ يا طِيرْ الوَعْدَ أَوْفَى طِرْ وانزَلْ جْبَلْ عَرَفَة

اغْتَنمْ مع النَّاسْ الوَقْفَة حَاجْتَكْ تم تُوفِيهَا

قُمْ يا طِيرْ ارْحَلْ لِمَنَى بَعْدْ الطُّوَافْ بِلَا مَنَّة

الإِفَاضَة فَرْضْ عْلِينَا زِيدْ للعُمْرَى اخْتَمْ بِها[2].

[1] ديوان ابن مسايب، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، المصدر السابق ، ص127.

[2] المصدر نفسه، ص174.

يتحدث الشاعر "ابن مسايب" في هذه الأبيات عن كيفية أداء مناسك الحج ويعبر فيهم عن الأماكن التي توجد بمكة ويأمر الطير بالترحال إلى منى.

2-4- التوقيع:

من خصائص شعر "ابن مسايب" نجد كذلك التوقيع بذرك اسمه أو لقبه في قصائده لحمايتها من النسب إلى شاعر آخر وهو ما يتضح في قصيدته "زينك فايت الزين" يقول:

من مفقود لـ لارسام ابن مسايب لا بعد سيد ناح

زينك فايت الزين مكة يا ريسة الملاح[1].

في هذه الأبيات يتضح جليا توقيع الشاعر بلقبه فذكر فيها "ابن مسايب" وهذه من خصائص شعره.

ويقول أيضا في قصيدته "فيك قوى اليوم يقيني"

يا ساقي الحب اسقيني من كيسان ودودك تخمر الشاربين

أهل التقوى والدين ارحم يا رحمان مسايب في كل حين[2].

ثانيا- الرثاء في قصيدة محمد ابن مسايب:

أ- رثاء مدينة تلمسان:

"ابن مسايب" من الشعراء الشعبيين الذين نظموا في موضوع الرثاء حيث أن له عدة قصائد رثائية، منها قصيدة: "ربي قضى عليها" التي يرثي فيها مدينة "تلمسان" التي أسرت قلبه، فقد عاش فيها متجولا بين أطرافها، فقد وفد

[1] ديوان ابن مسايب: أبو عبد الله محمد بن أحمد، إعداد وتقديم فناوي أمقران السحنون وأسماء سيفاوي، ص45.
[2] المصدر نفسه، ص58.

إليها من الأندلس، وقال فيها أشعارا، فقوم لغته أكثر في البيئة الجزائرية (تلمسان) لمناظرها الخلابة التي لا تقل جمالا عن الأندلس في مدنها وطبيعتها، وجمالها، فقد عاش وتوفي في مدينة "تلمسان" ولهذا تأثر بدمارها وخرابها، فرثاها في أبيات قصيدته حيث يستهل الشاعر "ابن مسايب" قصيدته بمطلع برز فيه الموعظة والحكمة، وحقيقة لا مفر منها وهي أن لا شيء باق على حاله وهذه هي سنة الله في خلقه، كما يتفق وسياق يتلاءم ومحتوى القصيدة كما تساعد في فهم القارئ للرسالة التي يبعثها الشاعر وتجهيزه لما تحمله أبيات القصيدة من ألم وحسرة، فبهذه العتبة يشد الشاعر عقل القارئ لما هو آت في المتن.

فالشاعر بكى ماضي تلمسان الجميل الحافل بالانتصارات، كذلك أسواقها التي كانت مصدرا لثراء أهل المدينة وأخلاقهم، وجيوشها ليسترسل في عرض المقارنات بين الماضي الجميل والحاضر الأليم فرثى أحوال الناس والمدينة ليختم قصيدته بالتوسل والدعاء وطلب الشفاعة من الأنبياء والأولياء، وطلب المغفرة من الله تعالى لتتجلى نزعته الصوفية.

قصيدة ربي قضى عليها:

ربي قضى عليها والوقت دعاها السابق المقدر كان اللي كان

ساعات السعود دارت الأيام معاها تنكس الزمان عليها وشيان

عدمت مشت فسدت والظلم خلاها مدينة الجدار بلد تلمسان

بعد الهناء وبعد الزهو تلمسان[1]

[1] ديوان أبن مسايب، أحمد أبو عبد الله، بن مساوي أمقران السحنون أسماء سيفاوي، ص41.

في مطلع هذه القصيدة الرثائية يذكر الشاعر في ألم وحسرة مدينة تلمسان التي كانت مهد للحضارات السابقة وهذه المدينة الجزائرية كانت تتغنى بماضيها المجيد والغني بالأمجاد يبكيها فقد دار الزمن والوقت عليها وانقلبت الموازين فأصبحت ضعيفة من بعد قوتها فهي كانت ذات قيمة ومكانة عالية ومرموقة بين الأمم بحيث لقبت بلؤلؤة المغرب الكبير، فجار الزمن عليها وضاقت بها وعم الظلم فيها، مدينة الجدار هذا الاسم أطلق عليها في العهد الإسلامي، فهي محاطة بأسوار كبيرة لحمايتها من خطر الأعداء هذه المدينة العريقة التي تمتد جذورها من الحضارة الإسلامية.

كما نلاحظ من خلال هذه الأبيات أن الشاعر يحاكي "أبو البقاء الرندي" في مطلع قصيدته في « رثاء الأندلس» والذي يقول:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دولٌ من سرة زمن ساءته أزمان

وهذه الدار لا تبقي على أحد ولا يدوم على حال لها شان[1]

فالشاعر هنا يتحدث على حقيقة لا مفر منها، وهي مقدرة من عند الله، فلا شيء يبقى على حاله، ولا يعتبر بطيب العيش أحد فهذه الأبيات قالها عندما سقطت الأندلس فرثاها في هذه القصيدة.

كذلك الأمر بالنسبة لمدينة تلمسان، التي كان مقدر لها أن تعيش حالة ضعف بعد قوتها، وهذه الأمور متغيرة إلى الزوال، فهذه الدنيا لا دوم على حال واحدة، فهي في إقبال وإدبار، قد سقطت تلمسان كما سطت قبلها العواصم الكبرى. فأيام الرخاء لا تدوم كما لا تدوم أيام الشقاء.

[1] أبو البقاء الرندي، رثاء الأندلس، جم- عيسى بن محمد السامي ق 15 هـ، كنوز الأندلس، ص 30.

ثم ينتقل الشاعر في أبيات قصيدته بكيا حالة السوق الذي كان مصدر الرزق الوفير لأهلها يقول:

كَانَتْ بَلَدْ مجْد وَرفعَة ومقامْها لْمشرَفْ عالْي

فيهَا أَهْلْ الفَضْل مجْتَمْعة سَادَاتْ كلْ سيدْ ووَالْي

متْنفعَة أَرْبابْ الصنعَة مَنْ فْضلهَا مال حْلَالْي

أَسوَاقْهَا سْواقْ السْلعَة وأَسْعارْهَا رْخيصْ وغَالْي

كلْ النَاسْ ريحْ أَولِ مبداهَا لا غشْ لا خدَعْ فيهَا لا نَقْصَانْ

وَالْيوم دارْ الفلكْ وزادْ أَعمَاهَا بالهمْ والذكرْ والهوْل والأحزَانْ

بعْد الهناء وبعد الزهو تلمسان[1]

في هذه الأبيات يوضح الشاعر أن هذا البلد بأمجاده ومقامه الشريف يفضل الأيادي العاملة وأصحاب الصنعة عاشت في رخاء وهناء فالشاعر يرثي هذه الأسواق ويسترجع ماضيها المجيد ويذكر أيام الخير التي عاشتها تلمسان، فقد كانت جسرا تجاريا بين أسواق مختلف المناطق، وهي من أكبر الأسواق، وهذا ما أكسب أهلها الثراء وجني أموال طائلة والدخل الوفير،و كانوا يعيشون حياة البدخ والترف والرفاهية منها.

وفي موضع آخر من القصيدة، نجده يندب الوضع الذي آل إليه الجيش، الذي كان رمز للقوة والشهامة، وسلسة الانتصارات الباهرة التي كان يحققها واقتحامه للحروب والمعارك عنوة دون التفكير في عواقبها، كان دا قوة

[1] ديوان أبن مسايب، أحمد أبو عبد الله، بن مساوي أمقران السحنون أسماء سيفاوي، ص41.

لا يشفق على أعدائها، ليتحول هذا الصمود إلى رعب، فتلمسان نظرا لتاريخها الحافل بالانتصارات وبلاد للملوك التي تعاقبت عليها الحضارات أضحى جيشها مهزوما يقول:

غابوا لها رجال النعرة ومسى وطنها وكرا خالي

زمانها نكرها والسعد جفاها وأصحاب المشورة زادوا والطلبان

ذا الحال ما اعزم بها ما هناها بقت كالجرانة في شدق الثعبان

كانت بلاد الحسب والشدة وجيوشها جوش ترهب

واليوم صارت من مدة لها يستحي من ينسب

اشفاوها الحسود والأعداء وبقت في أمرها تستعجب

القلب ركبته غده والروح في الصدر تتقلب

لبست من الحزن ثوب الذل كساها وتنكر عسلها راه ولى قطران

طالعها اتنكس مساها كثروا نكادها من عيشة الأغبان

بعد الهناء وبعد الزهو تلمسان[1]

فالشاعر "ابن مسايب" في هذه الأبيات لم يتصنع ولم يتكلف بل بكى تلمسان بعدما نكرها الدهر بنفس متألمة فهو يرى أن الزمن فعل فعلته بها ونال منها فأصبحت لا حولة ولا قوة لها.

[1] المصدر سابق، ص42.

ثم يسترسل الشاعر في عرض المقارنات بين الماضي الجميل والحاضر المؤلم مبينا كيف بدل الله الأحوال والناس ومرثيا هذه المدينة باكيا نفسه عما آلت إليه وهو متعجب من حالها الذي أصبح يدعوا إلى الشفقة، مبينا أن أعداءها فرحين بوضعها بعدما كنت أيامها فرحة وهناء، فبعد سقوطها صارت بلا قيم وأصبحت لقمة سهلة لكل الطغيان والطامعين في السطو عليها ويظهر ذلك في الأبيات التالية:

بعد الهنا وبعد السلوى والزهور والأفراح ذلت

بين لمدن ولات تسوى درهم إذا غلات ونفذت

لازاد عندها لا قوة لا باش تعين إذا نشدت

لا بين لا شراء لا غلوة فيها كل حاجة كسدت

خلاوها محيطمة من شد شداها بين اللصوص تتلاطم والطغيان

بكت ما جاهم فاش بكاها وإذا شكت قالوا هذا هتان

بعد الهناء وبعد الزهو تلمسان[1]

فهو يبكي حالة تلمسان التي كانت ملجأ وأمانا لكل ضعيف وبلاد للرخاء صارت لا بيع فيها ولا شراء، ولا تملك قوة لتعين من يأوي إليها، فأصبحت عاجزة على حماية نفسها، فقد جرفها تيار التشتت والتفكك.

[1] ديوان أبن مسايب، أحمد أبو عبد الله، بن مساوي أمقران السحنون أسماء سيفاوي، ص42.

ب- رثاء الأحوال:

في هذه القصيدة يندب الشاعر أحوال تلمسان وشعبها وأطفالها ونساءها على الوضع الذي أضحوا يعيشونه بسبب فساد الحكم حيث يقول:

هما سباب كل مشقة والخلق صابر لبلاهم

طلقوا لبلاد هذه الطلقة انسابت وهمها يركبهم

راه انكسرت واش بقى غرقوا اولادها ونساهم

ذا القوم ما معاهم الشفقة من يرفقوا بمن والاهم

الأيام ساعدتهم والوقت خلاها ويتناصروا على الإثم والعدوان

خربوا البلاد والمخزن زاد عماها الأسواق خالية والباطل رمان

بعد الهناء بعد الزهو تلمسان[1]

يرثي الشاعر وضع المدينة وأحوالها، فقد اتفقوا على إفسادها ودمارها، فبدلوا أمانها خوف يسودها، وكثر فيها الطغاة فبكاها الشاعر وأهلها، فبعد سقوطها وانكسارها راح الأطفال والنساء ضحية لتآمر الخبيث.

[1] المصدر سابق، ص 43.

ج- رثاء المعالم:

تعد مدينة تلمسان من المدن الغنية بالآثار والمعالم التاريخية فهي شاهدا حيا على تعاقب الحضارات على هذه المدينة، وقد ذكر الشاعر "ابن مسايب" هذه المعالم في قصائده، ففي قصيدة " ربي قضى عليها" تضمنت معلم من معالمها وهي الأسوار التي بناها السلطان "يغمراسن" حيث يقول:

خلف لخناذق نزلها ما بين البعل والقلعة

في وسط الجبال علاها وبناها شيد لها أساور وأبراج وبنيان

وعمل لها قواعد بحم وطاها حتى فنارها من بعيد يبان[1]

في هذه الأبيات تحدث الشاعر عن "القلعة" و " الأسوار" و " الفنار" وهي شاهدة على تاريخ تلمسان فالمرنيين استوطنوها واتخذوا من القلعة مسكنا لهم وأسوارها الحصن المنيع والحامي لهم من بطش الأعداء "فابن مسايب" رثها لاعتبارها رمز للقوة في المدينة فدار الزمن عليها وأصبحت ضعيفة لا تستطيع حماية نفسها وسكانها والتي كانت من قبل مرجعا وملجأ لكل ضعيف فقد شهد لقوتها جميع الملوك وهذه المعالم أكبر دليل على هيبتها.

د- رثاء الأخلاق:

كانت تلمسان قبلة لكل التجار، وملجأ لكل فارٍ من بطش كل عدو فكانت تتسم بأخلاق فاضلة، وهذا ما جعلها وجهة لكل من ضاقت به الأحوال فرثى "ابن مسايب" أخلاق هؤلاء التجار، الذين كانوا يتصفون بالصدق والعدل، فهذه السمات عندهم من شيم الرجال، والأمانة في التعامل مع الآخرين، فلا غش ولا خداع ولا حتى نقصان، ويعطى لكل ذي حق حقه يقول:

[1] ديوان أبن مسايب، أحمد أبو عبد الله، بن مساوي أمقران السحنون أسماء سيفاوي، ص41.

كل الناس ربحت أول مبداها لا غش لا خدع فيها لا نقصان

واليوم دار الفلك وزاد أعماها بالهم والنكد والهول والأحزان

بعد الهناء بعد الزهو تلمسان[1]

أما اليوم فيندبها الشاعر، فقد اندثرت هذه الأخلاق، ووضح الشاعر في البيت الأخير في نبرة حزن وأسى لما جرى لها وخيم الحزن والنكد عليها وأبدل أفراحها أقراح وأوجاع وفي موضع آخر يقول:

الأيام ساعدتهم والوقت خلاها ونتاصروا على الإثم والعدوان

خربوا البلاد والمخزن زاد عماها الأسواق خالية والباطل رنان

بعد الهناء بعد الزهو تلمسان[2]

يبين الشاعر في هذه الأبيات أن هذا الوضع كان مقدرا على تلمسان أن تعيش هذا الحال ويبكي على انتشار الإثم والعدوان، وكذا انتشار الباطل بين أهل المدينة.

" ابن مسايب" في مرثيته لتلمسان، التي تحضى بقيمة عظيمة في قلبه بكاها بنفس متألمة، وروح متعبة لما حدث لها، وهو يتقلب بين ذكريات الماضي الجميل، متذكرا إياه، ومبينا أيام السعادة والبهجة مع أحبابه، ووسط مدينة تنعم بالهناء والأمان وحاضر أليم جعله يندب الحال المزري الذي آلت إليه المدينة وفساد الأخلاق والبلاد ورثى أحوال الناس، ومعاناتهم بعد سقوط المدينة.

[1] ديوان أبن مسايب، أحمد أبو عبد الله، بن مساوي أمقران السحنون أسماء سيفاوي، ص 41.

[2] المصدر نفسه، ص43.

ثالثا– دراسة القصيدة:

1– الدراسة الفنية

دراسة اللغة الشعرية: لا بد من وجود اختلاف بين الشعر الفصيح والشعر الشعبي أو العامي في ألفاظه فهي في العامية يختلف موضعها ونجد ذلك في قصيدة "ابن مسايب" بحيث يظهر ذلك في:

- حذف بض الحروف مثل ما هو واضح في حذف " الذال" في الاسم الموصول " الذي" تصبح " اللي" وذلك في البيت الشعري:

ربي قضى عليها والوقت دعاها في السابق لمقدر كان **اللّي** كان[1]

- حذف حرف " **الهاء**" في اسم الإشارة " هذا" تصبح "**ذا**" وذلك في:

ذا حال ما عزم لها ما هناها بقت كالجرانة في شدق الثعبان[2]

- تخفيف الهمزة ونجد ذلك في كلمات: " **اتقان**"، " **ابراج**" " **اتخذت**"، **اصحاب**"، في حين تكتب في اللغة العربية وتنطق "**إتقان**" "**أبراج**"، "**أتخذت**"، " **أصحاب**"
- قلب "التاء" المربوطة " هاءا" في كلمة: "**بليه**"، " **نيه**"
- نجد أيضا الشاعر يضيف حرف الألف في بداية بعض الأسماء مثل: "**امسايب**" في:

واعطف على **امسايب** وارحم روحه إذا فنت أو حبه[3]

- نجد في شعره يبدأ الكلمات بالسكون مثل: "ْملوك"، "ْمنتفعة"، "عْدمت"
- كذلك تسكين الخبر والمبتدأ حيث يكون الأصل في الفصحى مرفوع، ذلك في : "**مدينةْ**"

[1] ديوان أبن مسايب، أحمد أبو عبد الله، بن مساوي أمقران السحنون أسماء سيفاوي، ص41.
[2] المصدر نفسه، ص 42.
[3] المصدر نفسه، ص 42.

مدينةْ الجدار أصلها هي من المدن السبعة[1]

2- المستوى التركيبي:

على هذا المستوى نلاحظ أن الشاعر " ابن مسايب" اختار للتعبير عن آلامه وحسرته على تلمسان وعلى ما أصابها من بلاء وابتلاء الأسلوب الخبري والإنشائي، فهذا الأسلوب هو الأمثل لسرد الأخبار والأصح لوصف الحالة النفسية للشاعر من حزن ونكد.

فقد استعمل الشاعر الجمل الاسمية وهي ما بدأ بها معظم أبيات قصيدته الرثائية: مثل ما هو الحال في صدر البيت الشعري:

الناس كل من يدخلها يستحلى الوطن والبقعة[2]

- نجد الأمر: **خد فائدة كل خبر**

- النفي: **لا بيع، لا شراء**

- وحدة البيت: ففي هذه القصيدة عند حذف أحد الأبيات لا يختل المعنى، بل نجد الإتساق بين أبياتها بقية على حاله، دون نقصان.

- كذلك عدد الأحرف في صدر البيت الشعري ليست نفسها في عجزه وليس نفس عددها في البيت الموالي، وهذا ما يشكل صعوبة وعسرا في معرفة وتحديد التفعيلات ومعرفة البحر الذي تنظم عليه القصيدة.

[1] ديوان أبن مسايب، أحمد أبو عبد الله، بن مساوي أمقران السحنون أسماء سيفاوي ، ص 41.
[2] المصدر نفسه، ص41.

3- المستوى البلاغي:

إن التجربة الشعورية التي عاشها الشاعر من أحزان وأسى جلية للمتلقى، حيث بينها في اعتماده على الإيجاز والتوضيح كما نجح في إيصال المعنى، بواسطة الصور البيانية حيث نلحظ وجود الصورة الشعرية في هذه القصيدة فقد اعتمدها الشاعر للتعبير عن حالته النفسية وعن مدى حجم الألم الذي تركه خراب مدينة تلمسان، ويظهر ذلك من خلال توظيف الشاعر في قصيدته كل من **التشبيه، الاستعارة، الكناية، الطباق**...

فقد شحن "ابن مسايب" هذه الأبيات بجملة من الآليات البلاغية التي نقلت لنا الصورة كاملة فصاغها على سبيل الاستعارة والكناية وذلك نجد:

- الاستعارة: في قوله: « راه انكسرت واش بقى» شبه المدينة بشيء مادي نستطيع كسره، فحذف المشبه به وهو الشيء، وترك على قرينته، أو ما يدل عليه وهو الفعل " انكسرت" على سبيل الاستعارة المكنية.

- **الكناية**: في قوله: " محزمة ومشمرة" كناية عن الاستعداد أي كناية عن تأهبها لأي حظر أو جهوم لصده.

- الطباق: في [**"بوادي"، "حضر"**] ، [" **رخيص"، "غالي"**]

- التشبيه: في قوله " كالجرانة"

- الجملة الشرطية: في قوله: "من لا أخذ بيده ما رأى سلون".

" من لا جلس بساطها.... بين لملوك ما سمى سلطان"[1]

- اسم الفاعل: "حاكم"

- صيغة المبالغة: " نقصان" [جمع قلة].

[1] المصدر السابق، ص41.

4- التركيب اللغوي:

رغم أن "ابن مسايب" اتسمت لغته بالوضوح وربها من الفصحى وهذا ما يدل على ثقافته ودرايته بها. ولكن نلمس بعد الألفاظ أو الكلمات تحتاج إلى شرح لإيضاح معناها:

الكلمة	شرحها
– محزمة، مشمرة.	– مستعدة
– ديما	– دائما – في كل وقت
– الجرانة	– الضفدع
– شدق	– الخد
– الأغبان	– الهموم، المشاكل والأحزان
– باش تعين	– لكي يساعد
– ماجاهم فاش بكاها	– لم يعرفو السبب الذي دفعها إلى البكاء
– ذا	– هذا
– عارفه	– تعلم، تدري
– خلاوها	– تركوها
–محيطمة	– محطمة
– واش	– ماذا

5- المستوى الصوتي:

وظف "ابن مسايب" في قصيدة أو نوع الشاعر " ابن مسايب" في القافية التي استعملها في قصيدته " **ربي قضى عليها**" حيث نجد:

كانت بلد يا حسرتها مطبوعة باللباس والهمة

ملوك عارفة قيمتها بني مرين أهل الحكمة

حازت مع العرب عند الأمم شان وهمة[1]

فنجد في هذه الأبيات القافية هي نفسها في عجز البيت:

الهمّة: الْهِمْمَةْ: القافية هي: هِمْمَةْ

0/0/ 0/0/

الحكْمة: الحكْمَةْ: القافية هي: حِكْمَةْ

0/0/ 0/0/

همّة: هِمْمَةْ: القافية هي: هِمْمَةْ

0/0/ 0/0/

ونجد في أبيات أخرى أيضا وظف نفس القافية في عجز هذين البيتين حيث نجد القافية المتداركة يقول:

زمانها انكرها والسعد جفاها وأصحاب المشاورة زادوا والطلبان

دالحال ما عزم بها ما هناها بقات كالجرانة في شدق ثعبان[2]

القافية هي:

الطُّلْبَانْ: طُلْبَانْ

0//0/ 0//0/

[1] ديوان أبن مسايب، أحمد أبو عبد الله، بن مساوي أمقران السحنون أسماء سيفاوي، ص41.

[2] المصدر نفسه، ص 42.

ثُعْبَانْ

0//0/

وهذا ما نجده في هذين البيتين أيضا:

للوالدين والأمة الكل سواها تغفر وترحم يا رحمان

بجه سورة الملك وسورة طه وأم الكتاب والسجدة والفرقان[1]

القافية هي:

يَارَحْمَانْ، الْفُرْقَانْ

0//0/ 0//0/

أما فيما يخص صدر البيت فقد وظف "ابن المسايب" القافية المتواترة أكثر من غيرها يقول:

كانت بلد مجد ورفعة ومقامها المشرف عالي

فيها أهل الفضل مجتمعه سادات كل سيدوا والي

متنفعة أرباب الصنعة من مالها مال حلالي

أسواقها أسواق السلعة وأسعارها رخيس وغالي[2]

فالقافية المترددة هنا هي:

[1] ديوان أبن مسايب، أحمد أبو عبد الله، بن مساوي أمقران السحنون أسماء سيفاوي، ص41.

[2] المصدر نفسه، ص41.

رِفْعَةْ

0/0/

سَمْعَةْ

0/0/

صَنْعَةْ

0/0/

سِلْعَةْ

0/0/

القافية المتداركة هي حركة + سكون+ حركة+ حركة+ سكون: /0//0

المتواترة هي: حركة+ سكون+ حركة+ سكون: /0/0

فقد ينوع من الروي في القافية: النون، اللام، الميم، التاء والهاء

فالشاعر لم يلتزم بحرف روي واحد، لكن الغالب عليها هو حرف النون وهو حرف يدل على الحزن، ومع اختلاف حرف الروي إلا أنه عند قراءتنا للقصيدة نشعر بوجود اتساق وانسجام موسيقي بين أبياتها.

- التكرار: يتجلى في تكرار الشاعر للازمة: "بعد الهناء وبعد الزهو تلمسان" التي تدل على إلحاح الشاعر وعلى شيء في نفسه ورغبته.

– **شرح قصيدة "أراد كيف فعل"**: هي من القصائد التي يتجلى فيها بكاء "ابن مسايب" على مدينة تلمسان وقد نظمها بعد ضياع عدد من معالمها وتراثها وسقوطها بيد الأعداء كالزيانيين والمرنيين والعثمانيين فقال هذه القصيدة يستنصر فيها أهل إفريقيا وتحديدا مدينة تلمسان، كما تعد هذه القصيدة من روائع ما قيل في الشعر الشعبي العربي في رثاء المدن والممالك ومما زاد في شهرتها ارتباطها بتلك الأحداث المؤلمة التي عصفت بدولة الإسلام في الأندلس ويتضح ذلك من خلال ما ورد في هذه القصيدة من معان معبرة وإضفاء طابع الحزن عليها.

فيفتح الشاعر قصيدته بحكم مفادها ما حصل لتلمسان هو قضاء وقدر من عند الله يقول في هذه الحكمة التي عبر عنها بلغة مؤثرة يعبر بها عما تعانيه المدينة من الأسى والحرمان والحزن قائلا:

أَرَادْ كَيْفْ فْعَلْ بِها ما لهَا اخْتْيَارْ سَبّقَ لها في الأزَلْ هكذا تْكُونْ[1]

ثم بعدها يذكر الشاعر" ابن مسايب" هذه المدينة و ما مدى قوتها في القدم واحتواءها على أسوار وجدران قوية ومحصنة ومثالا يحتدى بها لكن هذه الحال سرعان ما دار عليها، يقول:

ضِعْفِتْ واخْلاَهَا الهُوُل مْدِيْنَة الجِدَارْ مَا بَاقِي فِيهَا باشْ تْعاندْ المُدُنْ[2]

بعدها ذكر "ابن مسايب" الدول التي استعمرتها كالمرنيين وبنوزيان، ثم بعدها ذكر أحوال الناس وأخلاقهم ما كانوا يتمتعون من جود وكرم وثم بعدها يسترسل في ذكر الأسواق وما تحتويه من ثمار متنوعة ومعادن نفيسة وثمينة جعلتها في وقتها مكتفية ذاتيا وقبلية للعديد من المدن، ثم ينتقل إلى موضوع آخر وهو رثاء الإعلام والعلماء فيذكر "القلعة" أو "قلعة المنصورة" التي تعتبر من أهم المعالم الأثرية في تاريخ تلمسان ثم بعدها يذكر في بقية

[1] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص97.
[2] المصدر نفسه، ص97.

القصيدة أهم علماءها من أمثال "السنوسي" و"ابن يسحاف" و"ابن سعيد"، بعدها ذكر "ابن مسايب" في قصيدته شيوخ الأمة وفقهاءها فعبر هنا عن "بنو مرزوق" و"الحبيب المقري" و"الإمام زكري الفقيه".

تم بعدها يعود إلى التحسر والبكاء على أموالها التي ضاعت وتواصل الأحزان والأفراح في أرجائها ولدى رجالها بسبب ما أصبحت تعاني منه من فقر وحرمان فيتساءل "ابن مسايب" أين تلك الأيام التي كان يعيش فيها ناسها الترف والغنى والبدخ متمنيا عودتها.

وأخيرا يختتم الشاعر قصيدته بحكمة أخرى مفادها أن كل هذه الحروب والأزمات والمعاناة التي تلقتها مدينة تلمسان هي قضاء وقدر من عند الله فالله تعالى قد كتب مصيرها في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض.

– رثاء المدينة:

عنْدهَا وطنْ مُليح وعندها الديَارْ والجوامِعْ[1] وخْصَصْ بمياه العُيُونْ

من خلال هذا البيت نرى أن الشاعر يتكلم عن " الجوامع" بتلمسان والشاعر من العلماء الصوفيين فهو يعتبر الصلاة هوية للمسلمين فالشاعر يستحضر التاريخ الإسلامي ومدى أهمية الجامع في حياة المسلمين فابن مسايب كان يستمع لدروس التي كان يلقيها الشيوخ على الطلبة وقراءة القرآن، فيذكر الشاعر الجامع الكبير الذي يذكره بمسقط رأسه فمن خلاله بين الشاعر أحلامه.

ثم ينتقل الشاعر في موضع آخر ليصف لنا ما مكانة تلمسان " تاريخيا" ذات طابع خاص يميزها عن الحضارة العربية الأخرى يقول:

[1] **الجامع الكبير**: لديه خلفية تاريخية مهمة فقد كانت تقام فيه صلاة الجمعة وصلاة العيدين،، فهذا الجامع أعاد لتلمسان مكانتها الدينية، فقد كانت المساجد في السابق في الصلوات الخمس ومليئة بتقوى الله.

أراد كيْفْ فعل بها ما لها اختيارْ سبقْ لهَا في الأَزلْ هكذا تكُونْ

ضِعْفِت واخلاَهَا الهُولْ مْدِينَة الجْدَارْ[1] ما باَقيْ فيْهَا باشْ تْعاَند المدن[2]

من خلال هذين البيئتين نلاحظ الشاعر يصف ما ألت إليه مدينته، فعبر عن الخراب الذي حل بمدينة تلمسان مبينا أن هذا الأمر مقدر، كما نفهم من هذين البيتين أن الشاعر يبكي على تدهور حالة تلمسان بعدما كانت مملكة عظيمة وحاضرة من حواضر التاريخ حيث حكم دولة بن عبد الواد التي عرفت باسم الدولة الزيانية قرابة ثلاث قرون وجعلت تلمسان عاصمة لها، لكن مكانتها تراجعت نتيجة الحصار الذي فرض عليها وعاشوا فيها فسادا فقد طمسوا العديد من المعالم فيها واندثرت بين أروقة التاريخ وهذا ما جعل الشاعر يتحسر عليها ويبكيها في قصيدته.

ليواصل " ابن مسايب" ذكر تلمسان تاريخيا" وما كان يحدها وأين تقع واعتبر موقعها الجغرافي المميز هو الذي أضرم النار في قلوب الأعداء لاحتلالها يقول في مرثيته:

جاتْ ما بينْ الصَحْرا والتْل مجتمِعْ فَارْحِينْ مْواليهَا بْصِيْدْ البرْ والبَحرْ[3]

جَاتْ ما بينْ عطّارْ[4] وقِبّةْ المْنَارْ[5] مع الصْفِصِيْف[6] وعينْ الحُوتْ وازرُونْ[7]

يعبر الشاعر عن مدى حزنه اتجاه هذه المدينة حيث احتلت مكانة مرموقة في الغرب الجزائري فهي ترتفع عن سطح البحر بنحو ثمانمائة وثلاثين مترا وتبعد عنه بحوالي ثمانين مترا، بنيت على سفح جبل يقيها من الرياح الآتية

[1] **مدينة الجدار**: أو مدينة السور وهو اسم يطلق على تلمسان لكونها محاطة بأسوار كبيرة وضخمة وطويلة وقليل ما نجد مثلها في العالم الإسلامي.

[2] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص97.

[3] المصدر نفسه، ص 98.

[4] **عطار**: حي بتلمسان

[5] **قبة المنار**: منارة للمساعدة في الملاحة في مياه أقصى غرب الجزائر تقع في الغزوات بولاية تلمسان بالجزائر.

[6] **الصفصيف**: هو أحد أدوية تلمسان وهو المكان الذي يحمل في ثناياه أعمق الهواجس، كيف لا وهو الذي شاهد حروب ومعارك ضارية بتلمسان.

[7] **أزرون**:قرية بتلمسان

من الصحراء وتشرف على المدينة من الجهة الجنوبية "سلسلة جبال لالة سيتي"[1] ومن هضبتها المكسوة بغابات الصنوبر تنبع مياه غزيرة وعذبة.

فذكر " مسايب" هذه المكانة الجغرافية للمدينة للتذكير بمدى سمو وعلو مكانتها فهو يذكرها ونبرة الحزن والأسى تطبع شعره فرصد هذه الأحداث وصورها وسجلها واختلط فيها الذاتي بالموضوعي وأرجع سبب تهافت الدويلات عليها هو موقعها الذي اعتبره بمثابة كرسي على عرش المتوسط.

لينتقل " ابن مسايب" في قصيدته إلى ذكر " القبائل" التي كانت تسيطر على مدينته يقول:

غافلةْ ما نِبْهتْ للفلِكْ كيْف دَارْ وابن بنِيْ الوطاس[2] وفّاقْ الفنُونْ

والمرِيْنْيين وبنُو زيَانْ الجدَارْ عانْدتْ بِهُمْ مَنْ جا طالِبْ الفنُونْ

مَا بْقى فيها باشْ تعانِدْ المدُنْ[3]

فيرى الشاعر في هذه الأبيات ويساءل عن المصير الذي أصاب هذه المدن فرغم قوتهم وسيطرتهم على تلمسان لعدة قرون إلا أنهم انهزموا فما لمرينين انهزموا على يد بنوزيان فابن مسايب كونه محب لوطنه ومسقط رأسه فما كان منه إلا أن بكى عن ما خلفته هذه المدن من ضرر التي ألحقته بتلمسان وعن ترك الدهر يتلاعب بها فقد أحسن " ابن مسايب" في رثاءه فهو يظهر مدى إخلاصه وحبه لوطنه فقد بكاها لسقوطها وعبر عن هذا الحدث الجلي بأسمى معاني الحزن والأسى.

[1] **لالة سيتي**: هضبة واقعة بتلمسان على 600 متر عن سطح البحر تتوفر على مساحات خضراء ومناظر خلابة التي تميز عاصمة الزيانيين عن غيرهم.

[2] **بني الوطاسْ**: سلالة بربرية حكمت في المغرب سنوات 1472، 1552م، وينحدر الوطاسيون من إحدى قبيلة زناتة البربرية.

[3] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص97.

وفي موضع آخر نجد الشاعر في قصيدته يذكر مجموعة من "المباني" التي تميزت وامتازت بها تلمسان في قول في مرثيته:

بَاهْيَةْ صْفتهَا مَكْمُولَة الطْبَعْ صْبَاحْها ومْسَاهَا يغْنِي عن الفقرْ

عِنْدها صوُرْ مْدوّرْ مْحَصّنْ للمّنَعْ في الحجرْ لْهَا حْرَزْها بالوعرْ[1]

في هذين البيتين يبدأ " ابن مسايب " بالتحسر على السور العظيم الذي كان يحيط بالمدينة والذي اعتبر الدرع المتين لحمايتها من عديد الهجمات وضربات العدو وحماية لأهل المدينة وملوكها الذين حكموا أراضيها، فعبر الشاعر عن حسرته على ما أصاب هذا السور والقصور الجميلة والدور المحكمة بذلك الجمال الأخاذ أصبح خرابا ودمارا وأطفأت وحشية المهاجمين شعلة الحياة في المدينة وحل الخراب في كل مكان فقد دمروا فيها كل قصر والأسوار التي كانت تحمي المدينة والتي تمثل العراقة لهذه المدينة وأحالوها إلى أكوام من التراب والرماد ولم يتبقى فيها إلا اسمها وبعض البقايا والآثار التي تدل عليها.

ثم بعدها ذكر "ابن مسايب" ألمه وبكاءه على ما حل "بأسواق" المدينة وما كانت تحمله من خضر وفواكه وكل خير يقول:

عِنْدها وُطَنْ عْجْيبْ وعِندهَا غْرُوسْ بالفْواكِيْ والخيْرْ وكل مَاشْيةْ[2]

في هذا البيت عبر الشاعر عن الخيرات التي تحملها تلمسان فكانت المدينة مكتفية ذاتيا من خضر وفواكه.

بمختلف أنواعها فهي مدينة صناعية وتجارية منذ نشأتها، فهذا الأمر أثر في نفسية الشاعر كونه ابن المنطقة فعبر عن هذا الحزن في هذا البيت الذي ذكر جزئية صغيرة من كمية المعاناة الهائلة التي تعرضت لها هذه

[1] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص98

[2] المصدر نفسه، ص 99.

المدينة كيف لا يبكيها وهو يشاهد الفقر الذي أضح يحيط بهذا السوق والمدينة بعدما كانت القبلة التي يقصدها التجار من الشمال و الجنوب والشرق والغرب.

ليتسمر " مسايب" في الحديث عن استياءه وتعاسته عما أصاب المدينة من فقر وجوع وذكره ما كانت تزخر به المدينة من معادن يقول في مرثيته:

خيرِهَا يَاسِرْ وما فيه مِنْ فْلُوسْ حَاطَ بها الكَسْبْ مِنْ كل نَاحْيَةْ

والمْعادنْ فيها شِلاَّ كتْمُوا وأسْرار منْ التْبِر والفِضَّةْ ونُحاسْ والدُّونْ[1]

أشْجَارْها بخْضُورَة علاتْ والثْمَارْ والمْعَاطِنْ هذا بَارِدْ ذا اسْخُونْ

ما بْقَى فيها باشْ تْعَانْدْ المدُنْ

كانِتْ يا حسْرتْها في أيّام المالُ والرْجَالْ تِفْتْخِر بالعِدَّة والخِيْلُ والرْمَاَ[2]

يعبر الشاعر في هذه الأبيات عما تزخر أو كانت تزخر به المدينة من معادن كالفضة والنحاس ونقود كما ذكر الأشجار الخضراء التي تحيلنا على الطبيعة الأخاذة التي كانت تحملها هذه المدينة فموقعها الجغرافي المتميز ضخ الحياة الجملية فيها فالحياة فيها نشطة ومتجددة فالتربة الخصبة والينابيع ساعدت في تنوع الإنتاج الزراعي والحصول على كمية وغيره من الثمار فتحسر الشاعر عن ما ألت إليه وعدم توفرها على أدنى شروط الحياة وعبر عنها بأتعس وأكدر العبارات.

وفي نفس الموضع يذكر الشاعر في مرثيته:

[1] **الدون**: أو الدونيت هو صخر ناري سمي هذا الصخر بهذا الاسم نسبة إلى جبل دون الواقع في منطقة ما تسمى بحزام المعادن في نيوزيلندا.

[2] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص100.

صافية فضتها من جرّة الدْناسْ منْ معادنْ البثرْ الكُلْ أرْضهَا

أرضْها أرْض الطّيب كثيرة الأنْفاسْ والمكسّرْ يجْبرْ بْسبَبْ جيْرْهَا

منْ سْكنهَا حتّى قُبّهْ يصفى خْلاصْ شهادتها الأمم تفخر بخيرهَا[1]

في هذه الأبيات يحدثنا الشاعر عن ما مدى الحصانة الطبيعية التي تتمتع بها المدينة من معادن والخيرات من الثمار بفضل خصابة أرضها، فيقدم لها الشاعر العزاء الشديد بعدما أصابها من حوادث الدهر الضخمة والشديدة ويذكر أيضا في نفس الموضع يقول:

منْ أصْنَافْ الخيْراتْ الدْرَرْ و[2] الحْجَارْ فوُق ياقوت وجميع كل كونْ

ما بقىَ فيْها باشْ تعاندْ المُدُنْ[3]

كذلك فهو في هذا البيت يقدم في هذا البيت يقدم ما مدى كون مدينة تلمسان تحتوي على الخيرات لكن حالتها تدهورت فيبكي الشاعر ويبدي حزنه وتحسره على هذه الحالة التي وصلت إليها هاته المدينة.

***رثاء الأعلام والمعالم:**

يستمر " ابن مسايب" التعبير في مرثيته في جزء رثاء الإعلام والمعالم ونذكر هذه المرة ما رثاه عن العلماء ورجال العلم فيقول في قصيدته:

صاحب التوحيد سكنْهَا وإشتُهَارْ لأَهْلْ العُلُوم وقراوُا عليه الفْنُونْ[4]

[1] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص98.

[2] **الدرْ**: اللؤلؤة العظيمة الكبيرة.

[3] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ض99.

[4] المصدر نفسه، ص 99.

في هذا البيت يذكر "مسايب" أحد أهم علماء الأمة في ذلك العصر وهو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب "السنوسي" فهو من علماء تلمسان وصالحها وكثير زهادها في عصره وكان له نتاجات علمية عدة في مختلف العلوم والفنون " فابن مسايب" هنا يرثيه ويذكر ويعدد محاسنه ومنافعه التي قدمها للأمة والتي استفادت منها العديد من الأجيال فيتحسر عليه ويبكيه.

وفي نفس الموضع يذكر الشاعر " مسايب" عالمين آخرين في هذا المجال يقول ابن مسايب:

كان ابن يسحَافْ وابنْ سعيْدْ ينذكر من عْلاوُاَ في العلُوم وكل القْنُونْ

في العْملْ والمفعول سمعْتْ لهُمْ اخْبَارْ والأصول والبيانْ في مناطقْ اللسُونْ

ما بقى فيهَا بَاشْ تعانَدْ المُدُنْ[1]

يرثى "ابن مسايب" هذين العلمين ويذكر ما قدما للأمة فقد كان من أكبر العلماء الذين سمع لهم صدى في ذلك العصر من خلال العديد من مؤلفاتهم.

يذكر الشاعر من جهة أخرى وفي شقف آخر عبر عن ألمه لفقدان الأمة لأهم شيوخها وأئمتها الكبار يقول "ابن مسايب" في قصيدته وهو يرثى مشايخها:

عندهَا بنو مرزُوق[2] نسبة الحُسيْنْ والحبيب المعتريْ الفاضل ذو الكُمُلْ

[1] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص99.

[2] **بنو مرزوق** : (ابن مرزوق): هو خطيب وفقيه وحافظ للحديث وعالم بأصول الفقه ولد بتلمسان وتوفي بها.

والمغيلي[1] وابنْ معروفْ المكنْ والإمام ابن زكري[2] الفقيه الأجَّلْ[3]

يبكي الشاعر هنا على مشايخ تلمسان ويعدد محاسنهم وأعمالهم وآثارهم وبذكر العظمة التي قدموها للأمة فانتشار المشايخ والأئمة وإلقائهم للخطب الوعظية التوعوية ساهم في بناء مجتمع مثقف واع مزدهر ومتطور ما دفع العدو إلى احتلاله والدخول إلى أراضيه وكان منهم من ساهم في نشر الإسلام في إفريقيا كالمغيلي بالتالي يشعر بالحزن والأسى عليهم لأنهم عملوا في خدمة وطنهم.

وفي الموضوع ذاته وعن رثاء شيوخ مدينة تلمسان يقول "ابن عبد الله محمد بن مسايب" في مرثيته:

كان في البهْجَة يسمَّى ابن ليْمامْ والفقيه ابن عيْسى[4] والصعْدُ والخطيبَ

وابن النَصَرْ أحمدْ المدفُونْ باكرام تحتْ العقبهْ منْ جْوَارها قريْبْ

والمخمَّر ابن الحسن استقامْ في طريقْ الخدمَة والحُبْ والحبيبْ

كل باب عليها صالحْ من الكبارْ في الخفَا يحضيْهَا عن ساير السنُونْ

والمْغيثْ شُعَيْبْ أبُو مدينْ[5] اسْتْنَار به زالتْ أوْهَامْ الشّكْ والظُنُونْ

ما بْقَى فيها باشْ تعانَدْ المدُنَ[6]

[1] **المغيلي**: هو عالم وفقيه مسلم جزائري من مدينة تلمسان كان له دور كبير في نشر الإسلام في إفريقيا.

[2] **الإمام ابن زكري**: من فقهاء مدينة تلمسان ويلقب بـ شيخ الإسلام" و بـ " الحافظ" ومن مدرسيها المشهورين.

[3] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص99.

[4] **ابن عيسى**: هو الشيخ العلامة أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى من قبيلة بني زيد اشتهر بقراءة القرآن وكان من حفظته وقد اشتهر بصدفة ووفاءه.

[5] **أبو مدي**: أو أبو مدين التلمساني ويلقب بشيخ الشيوخ فقيه ومتصوف وشاعر أندلسي، يعد مؤسس أحد أهم مدارس التصوف وكانت له مؤلفات كثيرة في التصوف وديوان.

[6] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص99.

في هذه الأبيات يبكي الشاعر على كبار وعظماء شيوخ أمته وأئمتها وبذكر ما مدى علو مكانتهم بين علماء الأمة وكيف كان يسمع لهم صوت، كذلك نجد أن هدفهم و همهم الوحيد هو صلاح الأمة فأغلب هذه الأسماء كانت من المتصوفة وأغلبهم أيضا فقهاء وقد كانت لهؤلاء المتصوفة كتب ومؤلفاته كثيرة في التصوف ودووواين عديدة فيه من جهة أخرى ذكر " ابن مسايب" المعالم التي اتسمت بها مدينة تلمسان ونجد نبرة الكآبة والتعاسة في قصيدته ويقصد هنا قلعة المنصورة يقول:

الخْنادقْ والقَلعَةْ وحنيفْ كيف ذارْ والجِنْحْ الأخضرْ والعبّادْ والعْيُونْ[1]

في هذا البيت يشعر الشاعر بالألم والأسى على ما أصاب قلعة المنصورة التي كانت تمثل الحصن للسكان خلال هروبهم ومعلم كبير من معالم الدولة وإحدى أهم المعالم الأثرية والتاريخية عبر التاريخ لكن هذه المكانة العظيمة والمرموقة سرعان ما تلاشت بسبب الغزو المريني عليها فهدمت بشكل جزئي وتناثرت معالمها فحزن الشاعر عليها وتأثر بها وذكرها بألفاظ حزينة شجية.

*** رثاء الأحوال:**

بعدها ينتقل الشاعر إلى موضوع آخر ويذكر هذه المرة " رثاء الأحوال" فيرثي حال المدينة وحال سكنها فيتحسر عليها وعلى ما أصابها فيتحدث قائلا:

واينْ هي حسْراهْ واين ناسْهَا زينة الهِمَّةْ ما مثيلْهَا بْلادْ

كَانتْ عَرُوسةَ والتّاجْ فوقْ رأسْهَا قاعْدةْ في مجالِسْ ما رَاهَا فْسَادْ[2]

[1] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص98

[2] المصدر نفسه، ص 97.

في هذين البيتين نجد الشاعر تغمره مشاعر الاستياء و التحسر على أحوال العباد الذين كانوا يقطنون تلمسان ويتحسر أيضا كيف أصبحت قيمتها متدنية بعدما كانت عروس ويسمع لها صوت وصدها مسموع في المجالس.

وفي نفس الموضوع يذكر الشاعر التلمساني:

ما أَهْدُوا لسَطْوتها حدْ كُل مالْ بعد دارها الحُكم وولاهْ لعماَ

حدْ ما طاقْ يعود لقارارها قرارْ ما نفع فيها غير معدّي والزفونْ

مسهَا الضُّر مضاتْ وعشتهَا مرارْ مَكثْرة عليها الأحزانْ والعَيُونُ[1]

في هذه الأبيات ينصرف " ابن مسايب" إلى رثاء مدينته بعد النكبة التي أصابتها وانتشار الحزن والهم والغم فيها وكيف أصبح ناسها يعيشون مرارة الحياة بعد الحروب التي تلقوها وعاشوها خلال فترات الاستعمار وعبر أزمات مختلفة.

ليضيف " ابن مسايب" في مرثيته و فيما يخص رثاء الأحوال وبالضبط رثاء حال السلاطين والملوك يقول:

كَانْتْ البَهجَةْ عند سْلاَطينْ العْرب في المْقامْ العَالِي والمنزلْ الرفيعْ

عَاشْقتهَا مُلوكْ الزْهُور والانطرابَ والمغاني والحُسنْ والفاني البديْعْ[2]

[1] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص 100.

[2] المصدر نفسه، ص 100.

هنا قدم "ابن مسايب" رثاه وبكاءه لحياة الترف والنعيم اللذان كانا يتمتع بها سلاطين تلمسان وما كان يغمرهم من بهجة وما مدى علو مكانتهم ومقامهم في ذلك الوقت وإحاطتهم بكل الملذات وعيشهم في برزخ لكن دوام الحال من الموحال فقد انقلب عليهم الدهر وأصبحت براعم الفقر نعم حياتهم.

ويقول أيضا:

يا دْرَى في الدُنْيَا لأهْلَهَا تعُود كيْف كَانتْ في الدْهَرْ الفايتْ القديم

ليتها يعْمر ويتْولّى فيهَا شهُودْ بعْد تركْتهَا لأيَام بقدْرةْ الحْكِيمْ[1]

هنا يرثي الشاعر الأيام الخوالي التي كان أصحاب المدينة يتمتعون فيها بالسلام والهدوء والنعيم فهو يحن إليها متمينا عودتها لكن يترك ذلك لله وإيمانه بأن هذا راجع إلى قضاء الله وقدره.

*** رثاء الأخلاق:**

وأخيرا يتحدث عن "**رثاء الأخلاق**"ويرثي ويذكر حسن أخلاقهم ومعاملتهم وكيف كانوا ذا أصالة وشهامة فيقول:

صَناعْها حْسنْ بهيجْ مبطوع لبسْهَا لوُنها لوْنْ غْريبْ ونَاسْهَا جْوُادْ

الشاعر هنا يتكلم عن صفة كانت لصيقة بالناس في المجتمع قد لزمن طباعهم وهي صفة الجود فقد عرف عن المجتمع التلمساني بجودة وكرمه وإكرامه للضيف فالشاعر يحزن وبفتقد هذه الصفة في هذا المجتمع لأن هناك القليل من الناس الذين يعرفون تقدير الجميل والكرم بالرغم ما كانوا يتمتعون به من خيرات ونعم لذلك يتحسر عليهم وعلى أخلاقهم.

[1] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص101.

وفي نفس الموضع يذكر:

كَانْتْ يا حسْرتْها من أيّام المالْ والرْجَالْ يفتخرْ العدّةْ والخيْلْ والرْماَ[1]

في هذا البيت يتحسر على شهادة ونخاوة أهل العرب وخاصة رجال تلمسان وذكر في هذا البيت الخيل والذي يرمز إلى الأصالة ويقصد به ناسها.

ويذكر أيضا نزاهة أهل الأدب يقول:

نْزاهَةْ أهلْ الأدبْ والمَالْ والكسبْ في كُل بُسْتانْ دارتْ العزوُ الجميع[2]

يرثي الشاعر ويبكي على أهل العلم الذين كانوا يعيشون في تلمسان قديما ويذكر فيهم صفة حميدة ذو مكانة رفيعة وهي نزاهتم فيلاحظ الشاعر عليهم بأنهم رغم ما وصلوا إليهم من علم ومال وكسب إلا أنهم حافظوا على نزاهتهم وعدلهم وعدم تحليهم بالأنانية والغدر.

1- الدراسة الفنية:

اللغة الشعرية:

إن اختلاف الشعر الشعبي عن الشعر الفصيح يؤدي بالضرورة إلى الاختلاف على مستوى عدة مواضيع منها اللغة ونذكر هنا:

* تخفيف الهمزة: إذ أن معظم اللهجات العربية تميل إلى تخفيف الهمزة وهناك من الشعراء من يعمد إلى التخلص منها يحذفها أو يسهلها ونجد من أمثلة هذا في القصيدة حول " مسايب".

[1] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص100.
[2] المصدر نفسه، ص100

(**رأسها، راد، الخف، أين، شان، الصحرا، أزرون، لأهل، جاء، أشجارها، أهل، لأهلها**)، وأصلها في الفصحى.

رأسها، أراد، الخفاءْ، أيْن، شأنْ، الصحراء، أزْرُونْ، لأهْلْ، جاء، أشجارْها، أهل، لأهلَها).

* **حذف بعض الحروف**: مثل الذال في الاسم الموصول " الذي" فتصير "**اللّيْ**"

* **تسكين الفعل المضارع**: تعودْ، يَأتِيْ

* النطق بالسكان في أول الكلمات وآخرها: وذلك لأن لغة الشعر الشعبي غير معربة ومثاله في القصيدة: تكون، عديمْ، يْبانْ، بنِيْ، بلادْ، عروسةْ، فساد، حسَنْ، بهيحْ ، جوادْ، جميعْ، بصيدْ، حنيفْ، قبلْ، معادنْ، كثيرةْ، بلدْ، سْمعْتْ، طْريقْ....الخ.

كانت هذه بعض الحروف التي استخرجناها من القصيدة والتي تتعلق باللغة المستعملة فيها وهي اللغة العامية المختلفة عن الفصحى.

2- المستوى التركيبي:

لقد وظف الشاعر الشعبي "ابن مسايب" الكلمات الموحية والأسلوب الواضح القوي للتعبير عن تجربته ومشاعره كما نوع في أسلوبه بين الخبر والإنشاء و نجد الأسلوب الخيري هو الغالب هنا.

وقد وظف الشاعر الجمل الاسمية التي تدل على الثبوت ونجد هذا في معظم مطالع صدر بيت قصيدته:

خيرِهَا يَاسِرْ وما فيه مِنْ فْلُوسْ حَاطَ بها الكَسْبْ مِنْ كل نَاحْيَةْ[1].

[1] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص100.

- أما الأساليب الإنشائية في القصيدة نجد:

* **الاستفهام:**

وأيْنْ هي حسْرَاهْ وأيْنْ نَاسْهَا[1]

وأيضا:

يَا دْرَى في الدّنْيا لأهْلَهَا تعُودْ كيفْ كانتْ في الدْهَرْ الفايتْ القديمْ[2]

كذلك نجد الاستفهام في عجز هذا البيت:

غافلةْ ما بنْهت للفْلكْ كيف دارْ وأيْنَ بَني الوَطَاسْ وفّاق القْنُونْ[3]

أما النفي فنجده في صدر هذا البيت:

مَا عليْها مرتَاحْ غنّيْ ولا عدْيم وكُل من هو فيهَا معلُومْ تَعبْته[4]

كذلك نجده في صدر البيت السادس حين يقول:

ما بْناتْ النَّاسْ وعلاّتْ في الهدْيمْ[5]

أما الوحدة الموضوعية والعضوية فهي منعدمة في القصيدة وتقابلها وحدة البيت الذي يستقل بذاته دون الحاجة إلى بيت قبله أو بعده، وبذلك يمكن تقديم بيت على آخر دون أن يحدث خلل في المعنى أو في مبنى

[1] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص 97

[2] المصدر نفسه، ص 101.

[3] المصدر نفسه، ص97.

[4] المصدر نفسه، ص 97

[5] المصدر نفسه، ص 97.

القصيدة لكن بالرغم من انعدام الوحدة الموضوعية والعضوية في القصيدة إلا أننا نلاحظ اتساق وانسجام بين أبيات القصيدة وما نلاحظه أيضا هو انعدام توازن عدد الأحرف بين أبيات القصيدة وأحيانا بين شطري البيت الواحد فمثلا في مطلع القصيدة نجد في صدر البيت 24 حرف بينما عجز البيت يتكون من 20 حرف.

3- المستوى البلاغي:

وبعد اطلاعنا ودراستنا لهذه القصيدة لاحظنا أنها مثلها مثل باقي القصائد الشعرية الشعبية الأخرى لا تخلو من الصورة البيانية والمحسنات البديعية فقد وظفها الشاعر في العديد من أبياته وهي من الأمور التي تساعد على فهم النص وإيصال الفكرة بطريقة أوضح وأجمل ونذكر منهم ما يأتي:

* **الاستعارة:** في قوله:

زينة الهمة ما مثيلها بلاد

فقد حذف الشاعر المشبه به وهو الإنسان لأن الإنسان هو الذي يتمتع بالهمة وليس المدينة وترك لازمة دالة عليه وهي عبارة الهمة وهي هنا استعارة مكنية.

الكناية: وتتجلى في عجز البيت الحادي عشر، في قوله:

قَاعْدَةْ فِي مجالسْ ماراهَا فْسادْ كِنَايَةَ عن القُوة

استعمال الصور البيانية تساعد على إعطاء بلاغة أكثر للمعاني والمحسنات البديعية لا تق أهمية عنها فنجد في قول الشاعر:

* **الطباق:** (بنات، الهدم)، (الحق، المبدعة)، (رفع، خفض).

* **المشتقات**: كما نجد للمشتقات آثارها البلاغية.

* **كاسم الفاعل**: الفايت، طالب، ساير.

* **اسم المفعول**: معلوم معروف.

* **صيغة المبالغة**: جواد، غيار.

4- التركيب اللغوي:

قد لا نستطيع شرح مفردات ومصطلحات الشعر الشعبي لشعب معناها لكن هذا لا يعني أننا لا نستطيع إدراك القصيدة فعدم شرح مفردة أو عبارة لا يؤثر على إيصال فكرة القصيدة.

الكلمة	شرحها
- اخلاها الهول	- والهول هو الأمر المفزع أي الأمر الشديد.
- عديم	- فقير لا مال له.
- المرينيين	- من قبيلة زناتة البربرية بعد سلسلة من الغارات قامت دولتهم.
- بنوزيان	- هم سلالة بربرية حكمت من غرب الجزائر في فترة دامت ثلاث قرون.
- بهيج	- جميل، حسن المنظر.
- ملجوم	- أرض ليست بمنحدرة ولا مرتفعة
- محصن	- منيع.
- مشنوعة	- شائعة ومنتشرة.
- السنوس	- بلدة بضواحي تلمسان.

– الدلال	– الإحاطة بعناية رقيقة.
– الإنطراب	– وهو موضوع موسيقى شاع في القديم ولا يزال إلى يومنا هذا.
– يوهج	– يلهب.

5– المستور الصوتي:

لقد استعمل الشاعر ابن مسايب في قصيدته بحرا من بحور الشعر الشعبي وهخو "بحر الريح" والذطي يعتمد فيه على قافية واحدة في الصدر والعجز وهذا يؤدي إلى إنشاء جرس موسيقي يكون أقوى تأثيرا في السامع وهذا ما وظفه ابن مسايب في قصيدته فقد ساعده هذا البحر في التعبير عن حالته النفسية وخدمة لموضوعه وفكرته يقول:

هكْذا قدَّر قْضى رَبْنا الحْكِيم كيْفْ أرادْ فْعلْ بَاَحكامُهْ وقدرتهْ

مَالْ المُلكْ الحَّيْ الدَّايمْ القْديمْ منْ نْشا الدُّنيا وابْسطهَا بْنعمتُهْ

مَا علِيهَا مِرتاحْ غْنِي وُلا عْديمْ وكلْ منْ هوُ فيهَا معْلُومْ تَعبْتُهْ

مَا بْنَاتْ النَّاسْ وعْلاَّتْ فِي الهْدِيمْ وَاشْ فِيهَا بْنيَانْ الصَّحْ تْرِكْتُهْ[1]

فنجد في هذه الأبيبات القافية نفسها في صدر البيت وهي:

الْحْكِيمْ: القافية: كِيْمْ

00/ 00/00/

الْقْدِيمْ: القافية هي: دِيمْ

[1] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص 97.

00/ 00/00/

عْدِيْمْ: القافية هي: دِيْمْ

00/ 00/0

الْقْدِيْمْ: القافية: دِيْمْ

00/ 00/00/

كما استعمل الشاعر ابن المسايب نفس القافية في عجز البيت فنجد:

قِدِرْتُهْ: القافية هي: دِرْتُهْ

0/0/ 0/0//

بْنِعْمَتُهْ: القافية هي: عَمْتُهْ

0/0/ 0/0/0/0

تَعِبْتُهْ: القافية هي: عِبْتُهْ

0/0/ 0/0//

تِرْكْتُهْ: القافية هي: تِرْكْتُهْ

0/00/ 0/00/

فقد اختار الشاعر هذا الشكل من أجل التأثير في المتلقي واستفاد الشاعر في التساوي بين الأبيات من خلال توظيفه حرفي الميم والتاء والتي نقلت الصورة المزرية التي عاشتها مدينة تلمسان قديما، ويعد هذا النمط من الإيقاع الأكثر استجابة لذهن السماع، وتأثير القيمة الصوتية داخل النص الشعري.

وقد يغير الشاعر البناء النصي من خلال التنوع في القافية، يكررها في ثلاثة أبيات ويغيرها في الرابع كما في:

كَانْتْ الْبَهْجَةْ مِنْ قَبَلْ إلّاَ يْكُوْنْ فَاسْ فِيْ الْزْمَانْ الْفَا يَتْ مَشنُوعَهْ غِخْبارْهَا

صافْيَةْ فِضَّتهاَ مِنْ جَرَّةْ الْدْنَاسْ مِنْ مَعادِنْ البَشَرْ الْكلْ أرْضْهَا

أرِضْهَا أرْضْ الطِيْبْ كْثيرةْ الأَنْفاسْ وَ الْمْكَسَّرْ يِجْبِرْ بْسَبَبْ جِيْرْهَا

مَنْ سْكْنْهَا حَتَّى قُبَّةْ يِصْفى خْلاَصْ شاهدْهَا الأُمَمْ تَفْخرْ بْخِيرْهَا[1]

فالقافية في الأول كانت: يْكُوْنْ فَاسْ ⟵ كُوْنْ فَاسْ

0//00/ 0//00/0

الْدْنَاسْ ⟵ الْدْنَاسْ

0//00/ 0//00/0

وفي الشطر الثاني أو العجز كانت القافية كالآتي:

اِخْبَارْهَا اَرْضْهَا

[1] ديوان ابن مسايب، تح، محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ص 98.

//00/ //0//0/

وفي البيت الرابع كانت في صدر البيت:

يَصْفَخْلاَصْ: فَخْلاَصْ ⟵القافية: لاَصْ

00/ 00/0/ 00/0/0/

وفي عجزه:

بْخِيْرْهَا: خِيْرْهَا ⟵ القافية: خِيْرْهَا

//00/ //00/ //00/0

التكرار: استعمل الشاعر "ابن مسايب" تكرار بعض الحروف ونفس الجمل ليمد روابطه الأسلوبية لتضم جميع عناصر العمل الأدبي الذي يقدمه من الجانب الشعوري والحالة الشعورية النفسية التي هو عليها إضافة إلى كون التكرار يحقق إيقاعا موسيقيا جميلا ومن هذه الجمل في قصيدة مسايب نجد: "ما بقي فيها باش تعاند المدن"، أما الحروف: أين ، الهاء، من.

القافية: إن القافية في الشعر الشعبي تكون متنوعة وليست هي نفسها في جميع الأبيات وإذا أردنا البحث في حروف القافية في الشعر العامي مقارنة مع حروف القافية في الشعر فإننا نجد ثلاثة أنواع من هذه القوافي وهما:

المترادفة: حركة + سكون+ سكون /00

المتواترة: حركة+ سكون+ حركة+ سكون /0/0

المتداركة: حركة + سكون+ حركة+ حركة+ سكون /0//0

ونجد من بين هؤلاء الحروف التي تتكرر في شعر "مسايب" هي المتداركة والمترادفة.

الروي: لقد نوع ابن مسايب في حروف الروي فيّ كل أبيات القصيدة فلم يلتزم بنوع واحد من الروي لكن الحرف الغالب هو حرف النون وهو حرف يحمل في ثناياه نغمة الحزن والأسى فهو يعكس حالة الشاعر ونفسيته ابن مسايب في قصيدته عكس الواقع الأليم الذي عاشته المدينة بعد نكسته الحروب وما مدى تأثير ذلك في ذاتية الشاعر.

خاتمـــة

من خلال دراستنا لموضوع رثاء المدن في الشعر الشعبي الجزائري لابن مسايب نموذجا وبعد تخطينا للعديد من المراحل والنماذج السابقة المتعلقة بهذا الموضوع نستخلص في الأخير إلى أن:

* الشعر الشعبي شعر واقعي ينطلق من الواقع المعاش للشعب فهو نابع من أوساط المجتمع الجزائري واصفا ألامه وأقراحه.

- الشعر الشعبي لا يخضع لقواعد وضوابط الشعر الفصيح إلا انه مقلد له في أغراضه ولا يقل قيمة عنه في تصوير الواقع من مشاكل وأحزان وغيرها، بل يعطي صورة حية عن المجتمع عموما والجزائري خصوصا.

- يعد الرثاء من أصدق الأغراض الشعرية وذلك لما يحمله من معاني وألفاظ معبرة صادقة في الوصف والتعبير.

- تميز شعر رثاء المدن بصدق العاطفة وكثرة الحزن والأسى والندب على تلك المدن وما حل بها من دمار وخراب.

- رثاء المدن تم في الشعر العربي الفصيح وكذا في الشعر الملحون.

- أخذت مدينة تلمسان حظها من الرثاء من طرف ابن مسايب بكم تعلقه وانتماءه إليها فهذا الأخير رثى مدينة بأصدق المشاعر والكلمات وذلك لما تحمله من مكانة رفيعة في قلبه.

- طغيان النغمات الحزينة على القصيدتين اللتان ألفهما الشاعر ابن مسايب وذلك لتوظيفه الكلمات الدالة على الأسى والحزن والخراب التي عمقت جُرح المأساة لدى الشاعر وذلك لكون تلمسان في الماضي تحتوي على تاريخ عريق اكتسبته من موقعها الجغرافي واحتوائها على عمران وأسوار شاهقة متينة ولكن الزمن دار وفعل فعلته فيها.

- كما خص مسايب في شعره رثاء المدينة فذكر فيها الشيوخ والأعلام وما كانت تحتويه هذه المدينة من أساتذة الدين والعلوم.

- بكاء الشاعر بحرقة على الأحوال المأساوية التي آلت إليها المدينة.

- رثى الأخلاق التي كان يتسم بها شعب تلمسان وعلى اندثارها.

- تضمنت القصيدتين رثاء للمعالم الأثرية أيضا التي تدل على تعاقب الحضارات عليها وما مدى صمودها لمتانتها وحصانتها فبكاها الشاعر لسقوطها وضعفها لأنه لم يبق منها سوى ما يدل على اسمها فقط.

الملاحق

نبذة عن مدينة تلمسان:

تلمسان هي تلك المدينة العتيقة، التي ظهرت ببلاد المغرب العربي، فكانت قطبا يضاهي الدول الإسلامية تقدما ورقيا[1].

فقد كانت هذه المدينة من بين الدول العريقة التي تحمل العديد من التطورات من الناحية السياسية والثقافية وكانت الوجهة للعديد من الأجناس والأعراق فقد تعرضت المدينة عبر تاريخها إلى العديد من الحروب والصراعات فقد عرفت المدية في بدايتها الإحتلالية دخول الفاطميين حيث حاول الفاطميين الإستلاء على تلمسان لأنها بعد انتهاء فترة حكم الأدارسة في تلمسان «وقعت جملة من الفتن بين قبيلة صنهاجة المناصرة للدولة الفاطمية في القيروان والمهدية وبين قبيلة زناتة المناصرة للدولة الأموية في قرطبة، كانت تلمسان ضحيتها لأنها خاضعة للفاطميين وتارة للأمويين»[2].

لكن فيما بعد لم تصمد الدولة الأموية كثيرا وانتقل الحكم فيها للفاطميين ثم بعدها عرفت تلمسان دخلوا عهد المرابطين وقد عرفت فترة حكم "بتوافد مجموعة من الفاتحين عليها"[3].

ثم بعد هذا قامت دولة الموحدين على حساب الدولة المرابطية: « قامت الدولة الموحدية في البداية بمراكش، وكان أمر المرابطين، والملثمين يومئذ إسحاق بن علي بن يوسف... حاصر الموحدين، فانهزم وقتله عبد المؤمن وأصبحت بذلك الدولة للموحدين»[4]، ثم بعدها عرفت مدينة تلمسان غزو آخر وهذه المرة الدولة الزيانية وعي تعتبر من أهم الدول التي فرضن سيطرتها على مدينة تلمسان وقد دامت فترة حكم ما يقارب ثلاثة قرون،

[1] حياة سرباح: مدينة تلمسان في العصر الوسيط من خلال النشر، (مذكرة لنيل شهادة الماستر، أدب جزائري)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الأداب واللغات، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر، ص 26.

[2] المرجع نفسه: ص 29.

[3] المرجع نفسه، ص 31.

[4] المرجع نفسه، ص 33.

فقد وجدت الدولة الزيانية و "انتشرت أركانها وأخذت بالتوسع انطلاقا من المجهودات المكثفة لسلاطين وحكام تلمسان الذين سعوا إلى إرساء قواعدها وأركانها"[1].

فتلمسان تعد من المدن العريقة التي يشهد لها التاريخ فقد عرفت تعاقب العديد من الحضارات عليها وكانت عاصمة العديد من الدول القوية وقد كانت منشآتها وأسواقها وجوامعها رموز لحضارتها وقد كانت تحتوي على الكثير من الخيرات والمرافق الضرورية للحياة، وبالتالي تحولت المدينة إلى مركز لاستقطاب العديد من البلدان وصارت بذلك محل وموقع استراتيجي يساعدها في التنوع النباتي مركز لاستقطاب الدول الأخرى أي تساعد على التجارة.

[1] حياة سرباح: مدينة تلمسان في العصر الوسيط من خلال النشر، ص 35.

قلعة المنصورة

أسوار وأبراج مدينة المنصورة تلمسان

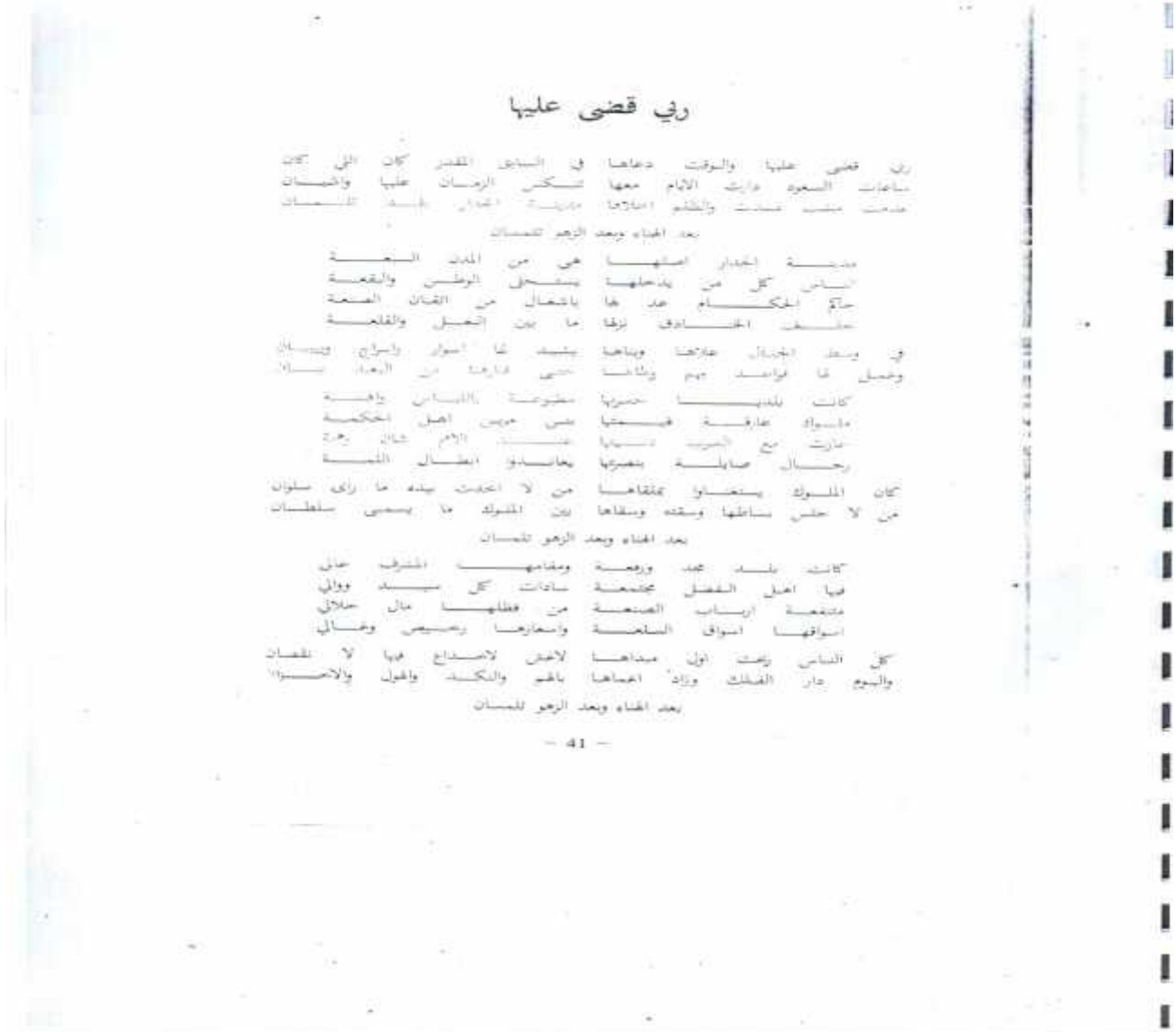

ربي قضى عليها

ربي قضى عليها والوقت دعاها في السابق القدر كان اللي كان
ساعات السعود دارت الايام معها تتكتر الزمان عليها والحيان

بعد الغناء وبعد الزهو للمسان

مدينة الجزائر اصلها هي من المدن السعة
الناس كل من يدخلها يستحل الوطن والقعة
حاكم الحكام عدها باشغال من القان الصنعة
حدايق الخوارق نزها ما بين النخل والقاعة

في وسط الجزائر عاليها وبناها يشيد فيا اسوار والبرج ويبان
وحمل فيا قواعد جيم وشاشة حتى قارها من الهدا سبان

كانت بلدية حسنها مطروحة بالناس واهية
ماسواك عارفة فيستها بس مويين اهل الحكمة
دارت مع الحرب دسيها عندها الايام خان وخذ
رجال صابلة بنصرها يعاندو البطال الشمة

كان الملوك يتعاوا يتلقاها من لا احدث بيده ما راى سلوان
من لا حلس بساطها وسقه وسقاها بين الملوك ما يسمى سلطان

بعد الغناء وبعد الزهو للمسان

كانت بلد عمد ورعة ومقامها المشرف عالي
فيا اهل الفضل مجتمعة سادات كل سيد ووالي
متبعة ارباب الصنعة من فظلها مال حلالي
اسواقها اسواق السلعة واسعارها رخيص وغالي

كل الناس رغبت اول مبداها لاغيش لاستداع فيا لا نقصان
واليوم دار الشك وزاد اعياها باهم والكسد واهول والاحزان

بعد الغناء وبعد الزهو للمسان

— 41 —

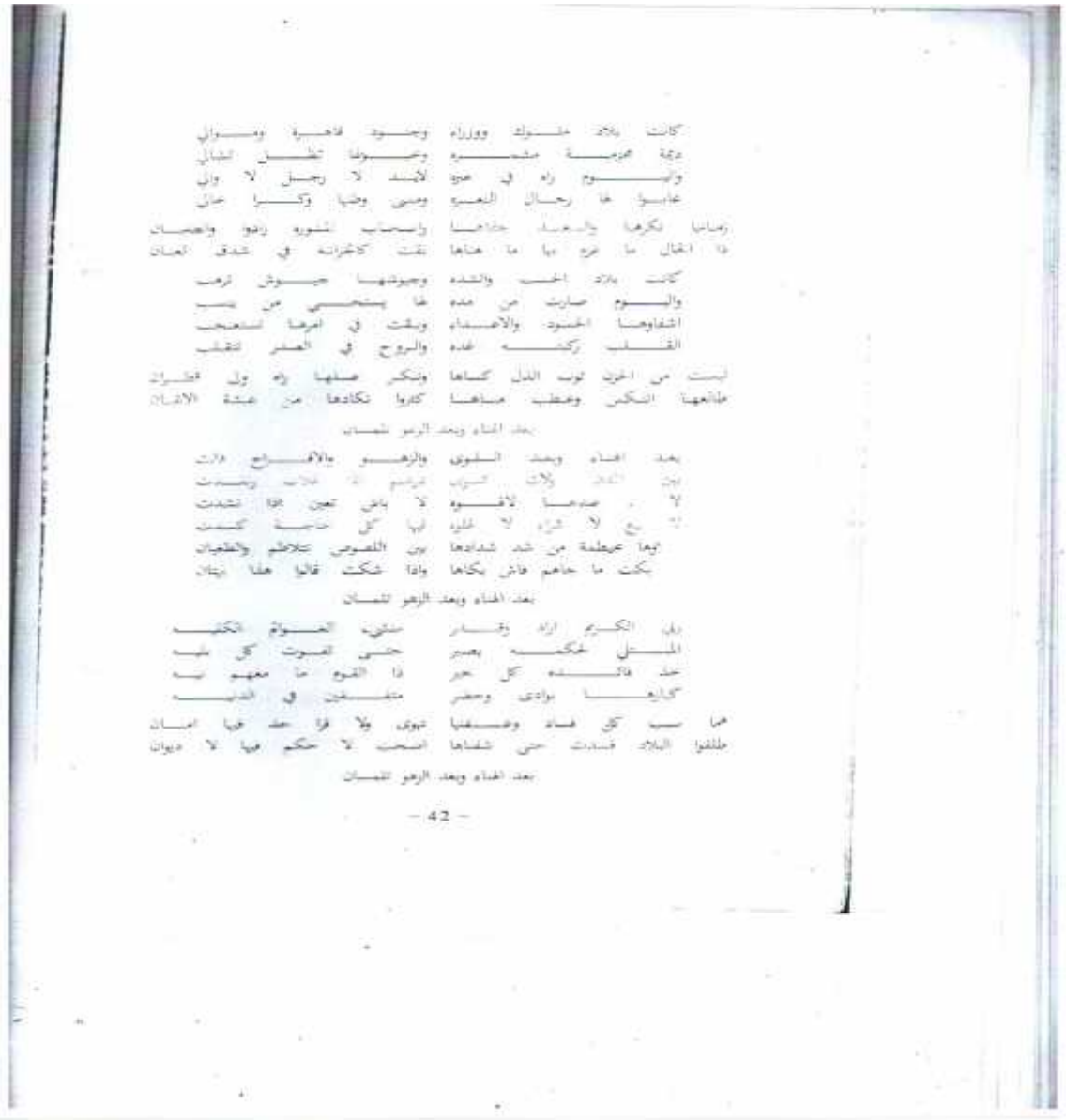

كانت بلاد ملـــوك ووزراء وجنـــود قاهـــرة ومـــوالي
درة عزيمـــة مشمـــيره وحـــوطها تطـــل الشمال
والـــيوم راه في عزو لابـــد لا رجـــل لا وال
غابـــوا هما رجـــال العمـــره وبنى وطنا وكـــرا حال

زمانا نكرها يا عبـــد حداهـــا راحـــاب شوره زدو واهبـــان
ها الخال ما غره بها ما هناها نقت كاخرانه في شدق الهوان

كانت بلاد الحـــب والنده وجيوشهـــا حبـــوش ترهب
واليـــوم صارت من مده هنا يستحـــي من يحب
اشقاوهـــا الحسود والاعـــداء وبقت في امرها تستعجب
القـــلب ركنـــه غده والروح في الصدر تتقلب

ليست من الحزن ثوب الذل كساها ونكر صنعها راه ولي قطـــرات
طاعنها النكس وعطب مساعـــا كانوا نكادها من عبثة الانسان

بعد الغناء وبعد الرمز للمعـــان

بعد الغناء وبعد السلوى والزهـــو بالافـــراح دارت
بين الخلان ولات كـــؤوس تراقص ... غلاب وبعـــدت
لا ... صدعـــا لافـــوه لا باش تعين اذا تشدت
لا ... يع لا شراه لا غلاه لها كل حاجـــة كتمن
ايها عجلة من شد شدادها بين القصوص تلاطم والطعان
بكت ما حاهم فاش بكاها واذا شكت قالوا هذا بهتان

بعد الغناء وبعد الرمز للمعـــان

زين الكـــريم اراد وقـــار سكنه الحـــوام الكلبـــه
المـــثل لحكمـــه يصير حتى الصوت كل ملبـــه
حد فالكـــده كل حر ذا القوم ما معهم نبـــه
كاريـــا بوادي وحضر متفـــقين في الدنيـــه

هما سبب كل فساد وضـــعفها تبوى ولا قرا حد فيها امـــان
طلقوا البلاد فسدت حتى شفاها انسحب لا حكم فيها لا ديوان

بعد الغناء وبعد الرمز للمعـــان

هما سبب كل مشقـــــه والخلق صابـــر بلاهـــم
خلقوا البلاد هذه الطلقه نسابت وعمهـــا بركتهم
راه انـــكسرت وش بقى غرقـــوا اولادهـــا ونســـاهـــم
ذا القوم ما معهم الشفقه ما يرفقـــوا بمن والاهـــم

الايام ساعدتهم والوقت خلاها ويتـــاصروا على الام زالـــت
تربوا البلاد والمجد زاد اعماها الاسواق حالية والباصـــل زيـــان

بعد الهناء بعد الزهر تلمسان

رب نجاه حواء وآدم مالـــك نجاه لانبيـــاء
الطيف بالمدينة وعـــرم نجيـــع نابهـــ الكبيـــه
نجاه كل من شر ساحر والاولـــيـــاء
راعت على اصحاب وارحم روحـــ اذا قدس اوحيـــه

والوالدين والامة الكـــل سواهـــا تغفـــر لهم وترحـــمه يا رحمان
نجاه سوره الملك وسورة طه وام الكتـــاب والسجدة والدخـــان

* * *

16 - أَرَادَ كِيْفْ فْعَلْ

يعد هذا النظم مع الذي يليه، محاولة لذكر عظمة للمسان الماضية
مع ابراز مدى الإنحطاط الذي حل بالمدينة في العهد العثماني.

أَرَادَ كِيْفْ فْعَلْ بْهَا مَا لْهَا اخْتِيَارْ ... سَبَقْ لْهَا فِي الأَزَلْ هَكْذَا تْكُونْ
ضِعْفِتْ وْاخْلاَهَا الْهُولْ مْدِينَةْ الْجْدَارْ ... مَا بَاقِي فِيهَا بَاشْ تْعَانْدْ الْمْدُنْ

هَكْذَا قَدَّرْ قْضَى رَبْنَا الْحَكِيمْ ... كِيْفْ أَرَادْ فْعَلْ بَاحْكَامَهْ وْقِدِرْتُهْ
مَالِكْ الْمُلْكْ الْحَيْ الْدَّايِمْ الْقْدِيمْ ... مَنْ نْشَا الْدُّنْيَا وْابْسَطْهَا بْنِعْمَتُهْ
مَا غْلِبْهَا مِرْتَاحْ غْنِي وْلاَ عْدِيمْ ... وْكُلْ مَنْ هُوْ فِيهَا مَعْلُومْ تَعْبِتُهْ
مَا بْنَاتْ النَّاسْ وْغْلاَتْ فِي الْهْدِيمْ ... وْاشْ فِيهَا بْيَانْ الْصَحْ تِرْكْتُهْ
غَافْلَةْ مَا نْبِهْتْ لْلْفْلَكْ كِيْفْ دَارْ ... وْايْنْ بْنِي الْوَطَاسْ[1] وْفَاقْ الْفْنُونْ
وْالْمْرِينِيينْ وْبْنُو زَيَانْ الْجْدَارْ ... عَانْدِتْ بِهُمْ مَنْ جَا طَالِبْ الْفْتُونْ

مَا بْقَى فِيهَا بَاشْ تْعَانْدْ الْمْدُنْ

وْايْنْ هِيْ حَسْرَاهْ وْايْنْ نَاسْهَا ... زِينَةْ الْهِمَّةْ مَا مِثْلْهَا بْلاَدْ
كَانَتْ عْرُوسَةْ وْالْتَّاجْ فُوقْ رَاسْهَا ... قَاعْدَةْ فِي مْجَالِسْ مَا رَاهَا فْسَادْ
صْنَاعْهَا حْسَنْ بْهِيجْ مَبْطُوعْ لِبْسْهَا ... لُونْهَا لُونْ غْرِيبْ وْنَاسْهَا جْوَادْ

[1] بنو الوطاس: فرع من قبيلة بنو مرين.

نَصَرتْ الْمُؤْمِنِينَ شَدِيدْ بَاسْهَا ... حَارْبِتْ وَقَالِتْ أَنَا طَالِبْ الْجِهَادْ
كِسِبْتْ مِيَاهْ أَلْفْ مَاجُورْ فِي الْحَضَرْ ... دُونْ اللِّي فِي الْعُرْبَانْ خَارِجْ الْحُصُونْ
عِمِلِتْ الْعِزْ لِمَنْ كَانْ فِي الْجُوَارْ ... جَمِيعْ مَنْ قَرَبْهَا صَانْتُهْ الْمَلِكْ صُونْ
مَا بَقِي فِيهَا بَاسْ تُعَانِدْ الْمُدُنْ

كَانَتْ بِعِزْ عَظِيمْ وَشَانْ مِرْتَفِعْ ... مَنْ يِرَاهَا يِتْمَنَاهَا فِي الْشَرْ
بَاهِيَةْ صِفْتِهَا مَكْمُولَةْ الطَّبْعْ ... صْبَاحْهَا وَمْسَاهَا يَغْنِي عَنْ الْفَقَرْ
عِنْدْهَا صُورْ مْدَوَّرْ مْحَصَّنْ لِلْمَنْعْ ... فِي الْحَجَرْ جْبَالْهَا خَرَزْهَا بِالْوَعَرْ
جَاتْ مَا بِينْ الصَّحْرَا وَالْتَّلْ مِجْتَمِعْ ... فَارْحِينْ مْوَالِيهَا بِصِيدْ الْبَرْ وَالْبَحَرْ
جَاتْ مَا بِينْ عَطَارْ وَقِبَّةْ الْمَنَارْ ... مَعْ الْصَّفْصِيفْ وَعِينْ الْحُوتْ وَامْرِزُوقْ
الْخَنَادِقْ وَالْقَلْعَةْ وَخَنِيفْ كِيفْ دَارْ ... وَالْجِنَحْ الْأَخْضَرْ وَالْعَبَّادْ وَالْغِبُونْ
مَا بَقِي فِيهَا بَاسْ تُعَانِدْ الْمُدُنْ

كَانَتْ الْبَهْجَةْ مِنْ قَبْلْ الْأَكُونْ فَاسْ ... فِي الْزَمَانْ الْغَايِتْ مَشْنُوعَةْ اخْبَارْهَا
صَافِيَةْ فِضَّتْهَا مِنْ جَرَّةْ الْدْنَاسْ ... مِنْ مَعَادِنْ الْشَّبَرْ الْكُلْ أَمْرَضْهَا
أَمْرَضْهَا أَمْرَضْ الْطِّيبْ كَثِيرَةْ الْأَنْفَاسْ ... وَالْمْكَسَّرْ يِجْبَرْ بِسَبَبْ جِبْرِهَا
مَنْ سُكْنَهَا حَتَّى قُبَّةْ بِصَفَى خَلَاصْ ... شَاهَدْتْهَا الْأُمَمْ تِفْخَرْ بِخِبْرِهَا

98

صَاحِبُ التَّوْحِيدِ[1] سُكْنَاهَا وَاشْتَهَرْ ... لِأَهْلِ الْعُلُومِ وَقَرَأُوا عَلَيْهِ الْفُنُونْ

مِنْ أَصْنَافِ الْخَيْرَاتِ الدُّرَرُ وَالْحَجَرْ ... فُوقْ يَاقُوتْ وَجَمِيعْ كُلْ كُونْ

مَا بَقِي فِيهَا بَاشْ تَعَانَدْ الْمُدُنْ

كَانَتْ بَلَدْ الْحَقْ وَالدِّينْ وَالْيَقِينْ ... مَا تَحِبْ الْبِدْعَةْ وَلَا تَنْكَرْ مِنْ فَضِلْ

عِنْدْهَا بْنُو مَرْزُوقْ نِسْبَةْ الْحُسَيْنْ ... وَالْخَبِيبْ الْمُقَرِّي الْفَاضِلْ ذُو الْكَمَلْ

وَالْمَغِيلِي وَابْنْ مَعْرُوفْ الْمَكِينْ ... وَالْإِمَامْ ابْنْ زَكْرِي الْفَقِيهْ الْأَجَلْ

كَانْ ابْنْ سَحَافْ وَابْنْ سَعِيدْ بِنْذْكَرْ ... مَنْ عَلَاوَا فِي الْعُلُومْ وَكُلْ الْفُنُونْ

فِي الْعَقْلِ وَالْمَنْقُولْ سَمِعْتْ لَهُمْ اخْبَارْ ... وَالْأُصُولْ وَالْبَيَانْ فِي مَنَاطِقْ اللِّسُونْ

مَا بَقِي فِيهَا بَاشْ تَعَانَدْ الْمُدُنْ

كَانْ فِي الْبَهْجَةْ يُسَمَّى ابْنْ الْيَمَامْ ... وَالْفَقِيهْ ابْنْ عِيسَى وَالصَّعْدْ وَالْخَطِيبْ

وَابْنْ النَّصَرْ أَحْمَدْ الْمَدْفُونْ يَا كْرَامْ ... تَحْتْ بَابْ الْعَقَبَةْ مِنْ جْوَارْهَا قَرِيبْ

وَالْمُخَمَّرْ ابْنْ الْحَسَنْ اسْتَقَامْ ... فِي طَرِيقْ الْخِدْمَةْ وَالْحُبْ وَالْخَبِيبْ

كُلْ بَابْ عْلِيهَا صَالِحْ مِنْ الْكِبَارْ ... فِي الْخَفَا بِحَضِيهَا عَنْ سَايِرْ السُّنُونْ

وَالْمُغِيثْ شُعَيْبْ أَبُومَدِينْ اسْتَنَارْ ... بِهْ زَالِتْ أَوْهَامْ الشَّكْ وَالظُّنُونْ

مَا بَقِي فِيهَا بَاشْ تَعَانَدْ الْمُدُنْ

عِنْدْهَا وَطَنْ عَجِيبْ وَعِنْدْهَا غُرُوسْ ... بِالْفَوَاكِي وَالْخِيرْ وَكُلْ مَاشِيَةْ

1 صاحب التوحيد: أي هو الشيخ السنوسي

جَاتْ بِينْ تَرَارَ وْ جْبَالْ بَنِي سْنُوسْ عِنْدْهَا نَحْوْ الْعِشْرِينْ أَلْفْ سَافِيَةْ
مِنْ هْوَاهَا وْ مِنْ مَاهَا تِرْتَاحْ النُّفُوسْ لاَ وْجَدْتُهُمْ أَمْرَضْ بَأَمْوَالْ غَالْيَةْ
خِيرْهَا يَاسِرْ وْ مَا فِيهْ مِنْ فْلُوسْ حَاطْ بِهَا الْكَسْبْ مِنْ كُلْ نَاحْيَةْ
وْ الْمَعَادِنْ فِيهَا شِلاَّ كَتْمُوا أَسْرَارْ مِنْ النِّتْبِرْ وْ الْفِضَّةْ وْ نْحَاسْ وْ الدُّونْ
اشْجَارْهَا بِخْضُورَةْ غْلاَتْ وْ الْثْمَارْ وْ الْمَعَاطِنْ هَذَا بَارِدْ وْ ذَا سْخُونْ

مَا بْقَى فِيهَا بَاشْ تْعَانْدْ الْمُدُنْ

كَانَتْ يَا حَسْرَتْهَا فِي أَيَّامْ الْمَالْ وْالْرِّجَالْ تِفْتَخِرْ بِالْعِدَّةْ وْ الْخِيلْ وْ الْرِّمَا
جَالَتْ وْصَالَتْ وْ اسْتَوْلاَتْ كُلْ حَالْ مِنْ خْقَايِقْ الْمُلْكْ وْ تَسْفِيكْ الْدِّمَا
مْعَ مُلُوكْ السَّعْدِيَّةْ وْرِثَتْ الْدْلاَلْ الْحِلِي وْ الْحُلَّةْ وْ الْتَّاجْ بَعْدْمَا
مَا أَنْهَدُوا لْسَطْوَتْهَا حَدْ كُلْ مَالْ بَعْدْ دَارْبَهَا الْحُكْمْ وْوُلاَةْ لِعْمَا
حَدْمَا طَاقْ يْعُودْ لِقْرَارْهَا قْرَارْ مَا نْفَعْ فِيهَا غِيرْ مَعْدِي وْ الْزَّرْفُونْ
مَسْهَا الْضُّرْ مْضَاتْ وْ عِيشْهَا مْرَارْ مَكْثَرَةْ عْلِيهَا الأَحْزَانْ وْ الْغْبُونْ

مَا بْقَى فِيهَا بَاشْ تْعَانْدْ الْمُدُنْ

كَانَتْ الْبَهْجَةْ عِنْدْ سْلاَطِينْ الْعْرَبْ فِي الْمْقَامْ الْعَالِي وْ الْمَنْزِلْ الْرَّفِيعْ
عَاشْقِتْهَا مُلُوكْ الْزَّهْوْ وْ الأَنْطْرَابْ وْ الْمْغَانِي وْ الْحُسْنْ وَ الْفَا يِقْ الْبْدِيعْ
وَاشْ يَعْرِفْ مَنْ لاَ مَنْ بِدِيهَا شْرَابْ كَاسْ يْوَهَجْ نْرَادْ مْثِيلُهْ مِنْ الْقْطِيعْ
نْرَاهَةْ أَهْلْ الأَدَبْ وْ الْمَالْ وْ الْكَسَبْ فِي كُلْ بْسْتَانْ دَارِتْ الْعِزْ وْ الْجْمِيعْ

عِنْدَهَا وَطَنٌ مُلِيحٌ وَعِنْدَهَا الدِّيَارْ ... وَالْجَوَامِعْ وَخُصَصْ بِعْيَاهْ الْعُيُونْ
ثِقْلَتْ غُرُوسُهَا بِشَمَائِمْ النَّوَارْ ... الزَّهَرْ وَالنَّسْرِي وَالْوَرْدْ فِي غُصُونْ
مَا بْقَى فِيهَا بَاشْ تْعَانِدْ الْمُدُنْ

يَا ذُرَى فِي الدُّنْيَا لَاهْلُهَا تْعُودْ ... كِيفْ كَانَتْ فِي الدَّهَرْ الْفَايِتْ الْقَدِيمْ
لِيتْهَا تِعْمَرْ وَتِتْوَلَّى فِيهَا شُهُودْ ... بَعْدْ تَرْكِهَا الْأَيَّامْ بِقَدْرَةْ الْحَكِيمْ
هَذَا هِيَ الْعُشْرَةْ لِيهَا مِنْ الْجُدُودْ ... نَاظْرِينْ لْمُولَى السَّاعَةْ يَاتِي مْزِيمْ
تْحَدْ ثْوَابَهْ النَّاسْ وَجَابَتْهْ اخْبَارْ ... شِي مْرَفَّعْ وَشِي خْفَضْ مِنْ خُوفْ مَا يْكُونْ
ابْنْ مْسَايِبْ مَا زَالْ لْخَاطْرُهْ غْبَارْ ... صَابِرْ الْحُكْمْ الْإِلَهْ مْرَاضِي بِمَا يْكُونْ
مَا بْقَى فِيهَا بَاشْ تْعَانِدْ الْمُدُنْ

قائمة المصادر

والمراجع

أ- المصادر:

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج1.
2. ابن منظور أبو الفضل: لسان العرب، ج3، تج: عبد الله عبد الكبير وآخرون، دار المعارف، بيروت، مادة مدن، د ط، 1980.
3. الأخضر بن خلوف، ديوان سيدي لخضر بن خلوف، جمعه وقدمه محمد الحاج الغوثي بخوشة، نشر ابن خلدون تلمسان، الجزائر، د ط، د ت.
4. البستاني بطرس: محيط المحيط، مج8، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د،ط.
5. ديوان ابن مسايب، أحمد أبو عبد الله فناوي أمقران أسماء سيفاوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، د.ت.
6. ديوان الشاعر محمد بن قيطون جمع وشرح احمد عاشور صدر بدع من وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني لترقية فنون الأدان.
7. محمد بن الحاج الغوتي بخوشة: ديوان ابن مسايب، ابن خلدون للنشر والتوزيع، تلمسان-الجزائر، د،ط، أكثوبر 2001.
8. محمد بن مكرم علي ابو الفصل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر بيروت، د ط، 1863، د.ج، مج 6.

ج- المراجع:

1. إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي – الجزائر نموذجا- (1925-1962)، ط2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، حي لابروياز، بوزريعة، الجزائر.
2. أحمد قنشوبة، الشعر الغض، قراءات في الشعر الشعبي، الجزائري، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
3. أمينة فيزازي: مناهج دراسات الأدب الشعبي، دار الكتاب الحديث، الجزائر، د.ط، 1431هـ-2010م.
4. التلي بن الشيخ دور الشعر في الثورة 1965-1930 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر.
5. التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، د.ط، 1990، الجزائر.

6. التلي بن الشيخ، دراسات في الأدب الشعبي، د.ط، د.ت، المؤسسة الوطنية للكتاب 3، شارع زيغود يوسف، الجزائر.

7. التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة، (1830م-1995م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر.

8. عبد الحميد بن هدوقة: المورث الشعبي في روايات: صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة عامة 2008: دار السبيل.

9. عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1401هـ-1981م.

10. العربي بن عاشور أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، دار الشروق للطباعة والتوزيع، د.ط، 2008، الجزائر.

11. العربي دحو، الشعر الشعبي في الجزائر، النشأة، المضمون، البناء، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، شارع قيطوني عبد المالك، قسنطينة، ط3، 2015.

12. العربي دحو، الشعر الشعبي، ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، 1954-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

13. العربي دحو، معجم شعراء الشعر الشعبي من القرن 16 إلى أواخر العقد الأول من القرن 21 دار الألمعة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2011.

14. علي بولنوار: الشعر الشعبي الجزائري، منطقة بوسعادة، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2010.

15. محمد الصالح بن علي، من روائع الشعر الشعبي علي عناد، مديرية الثقافة لولاية الوادي، الجزائر، ط1، 2008م.

16. محمد المرزوقي، الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر، د.ط، 1967.

17. منذر ديب كفافي، الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية دراسة في الشعر والمضمون، جامعة الإسراء الخاصة الأردن، عالم الكتب الحديث، 2006.

د- الرسائل الجامعية:

1. بن حمدة محمد الصالح، جماليات الخطاب الشعري الشعبي الجزائري، ضوء المنهج الأسلوبي، أطروحة دكتوراه الطور الثالث ل.م.هـ.في اللغة والأدب العربي أدب عربي قديم، قسم اللغة والأدب العربي كلية الأدب جامعة غرداية، الجزائر، 2020-2021.
2. حياة بوخلط: صورة المرأة في الشعر الشعبي الجزائري، شعر البشير قيذفة نموذجا، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، أدب شعبي جزائري)، اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات الأجنبية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2009-2010.
3. حياة بوخلط، صورة المرأة في الشعر الشعبي الجزائري، شعر البشير قذيفة أنموذجا، إشراف علي بولنوار، (رسالة ماجستر، أدب شعبي جزائري)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2009-2010.
4. حياة سرباح: مدينة تلمسان في العصر الوسيط من خلال النشر، (مذكرة لنيل شهادة الماستر، أدب جزائري)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الأداب واللغات، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر.
5. عبد القادر شريط: فن رثاء المدن قفي الشعر المغربي القديم من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني (رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها فرع الأدب المغربي القديم)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013، 2014.
6. عبد المنعم قارة، الشعر الشعبي في منطقة جيجل دراسة سميائية ، إشراف عبد المالك ضيف، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2014-2015.
7. لخضر بوصيف، الصورة في الشعر الشعبي الجزائري في ضوء الدراسات النقدية الحديثة، إشراف أحمد الأمين، 2009-2010.
8. لوصيف لخضر بن الحاج، الشعر الشعبي الجزائري قضاياه وإشكالياته، مؤسسة البيت، شارع العربي التبسي، محمد بلوزداد، الجزائر، د.ط، 2015.

هـ- المقالات والمجلات

1. أبو البقاء الرندي، رثاء الأندلس، جم- عيسى بن محمد السامي ق 15 هـ، كنوز الأندلس.
2. جمعية آفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلوف حياته وقصائده، ج2، منشورات الألفية الثالثة، ط1، 2010، الجزائر.

3. عبد اللطيف حني: المدائح النبوية في الشعر الشعبي الجزائري، كلية الآداب واللغات، العددان العاشر والحادي عشر، جانفي-وجوان 2012.

4. عطية رغيسة: "احتلال الجزائرية مرثية عبد القادر الوهراني الشعبي، مجلة المدونة، العدد الثاني، الجزائر، جامعة البليدة، ربيع الثاني 1436هـ، الموافق لـ جانفي 2015م.

و- المجلدات:

1. محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان، الأدب العربي الجزائري عبر النصوص: إرشادات الحائر إلى آثار الأدباء الجزائر، المجلد الأول، الجزء الأول، العصر القديم، ج2، العصر الذهبي، ط1، سنة 1422هـ-2001م. طبع وإشهار، داود بريكسي في الكيفان رقم 53، تلمسان.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
شكر وتقدير	
مقدمة	أ
المدخل	
1- مفهوم الرثاء	5
أ- المعنى اللغوي	5
ب- المعنى الاصطلاحي	5
2- مفهوم المدينة	8
أ- لغة	8
ب- اصطلاحا	8
3- الشعر الشعبي الجزائري وإشكالية المفهوم والمصطلح	10
أ – الملحون	10
ب- الزجل	13
ج- الشعر الشعبي	14
د- نشأة الشعر الشعبي الجزائري	17
الفصل الأول: الشعر الشعبي الجزائري الموضوعات والمضامين والأغراض والخصائص	
1- موضوعات ومضامين الشعر الشعبي الجزائري	22
أ- الغرض الديني	22
ب- المدح	23
ج- الغزل	30
د- غرض الهجاء	33

هـ- الرثاء	33
و- التصوف	36
ي- غرض الوصف	38
2- خصائص الشعر الشعبي الجزائري	42
3- رثاء المدن في الشعر الجزائري الفصيح	45
أ- رثاء مدينة "تاهرت"	45
ب- رثاء مدينة "تلمسان"	46
ج- رثاء مدينة "الجزائر"	46
د- رثاء مدينة "وهران"	47
هـ- رثاء مدينة "عنابة"	47
4- رثاء المدن في الشعر الشعبي	48
أ- رثاء مدينة الجزائر:	48
ب- رثاء مدينة تيهرت	50
ج- رثاء مدينة بجاية	51
د- رثاء الأبناء للآباء	53
هـ- رثاء الآباء للأبناء	54
الفصل الثاني: رثاء المدن عند ابن مسايب	
أولا- نبذة عن حياة بن مسايب	58
1- أعماله	60
2- خصائص شعره	60
2-1- التأريخ	61
2-2- الرمز الصووفي، (الحب الإلهي، الشوق والحنين)	61

2-3- الرحلة	62
2-4- التوقيع	63
ثانيا: الرثاء في قصيدة محمد ابن مسايب	63
أ- رثاء مدينة تلمسان	63
ب- رثاء الأحوال	69
ج- رثاء الأعلام والمعالم	70
د- رثاء الأخلاق	70
ثالثا- دراسة القصيدة	72
1- الدراسة الفنية	72
2- المستوى التركيبي	73
3- المستوى البلاغي	74
4- التركيب اللغوي	75
5- المستوى الصوتي	75
خاتمة	102
قائمة المصادر والمراجع	105
الملاحق	118
فهرس المحتويات	
الملخص	

ملخص:

لقد جاءت هذه الدراسة بهدف تسليط الضوء على أهم الأغراض الشعرية ألا وهو الرثاء في الشعر الشعبي الجزائري وذلك يرجع لسبب جعله يتميز عن غيره من الأغراض من حيث" أن الرثاء يعد من أصدق الأغراض تعبيرا عن ما يجول في نفسية الشاعر.

وقد عمدنا في مذكرتنا لذكر رثاء المدن في الشعر الشعبي الجزائري عند "ابن مسايب" وتجلياته في قصيدتي "ربي قضى عليها" و "أراد كيف فعل"، وحاولنا أن نلم من خلالها بذكر ما تحتويه القصيدة من رثاء المدينة ورثاء الأعلام والمعالم ورثاء الأحوال والأخلاق وختمنا مذكرتنا بالدراسة الفنية لهذين القصيدتين.

Summary:

This study was aimed at highlighting the most important purposes of poetry, namely lamentation in Algerian folk poetry, due to the fact that it is distinguished from other purposes in that "lamentation is one of the most sincere purposes in the expression of what goes into the psychology of the poet.

In our note, we deliberately mentioned the lament of cities in Algerian folk poetry at Ibn Misaib and his manifestations in the poems "My Lord has eliminated it" and "He wanted how he did". Through it, we tried to mention what the poem contained in the lamentation of the city, the lamentation of flags and monuments, and the lamentation of conditions and morals.